المنهاج الإسلامي لحل المشكلة التربوية في العالم الإسلامي

بقلم

أ. علي القاضي



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

ذو الحجة ١٤٢٥هـ - فبراير ٢٠٠٥م

مقدمة

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وفضله على كثير من مخلوقاته وجعل الملائكة تسجد له وأرسل إليه الرسل ليبينوا له الطريق السليم الذي يسير عليه حتى يستطيع أن يؤدي وظيفته في هذه الحياة، ولكن الإنسان بطبيعته كثيرا ما ينحرف عن الطريق المستقيم فلا ينظر إلا إلى الناحية المادية من النساء والبنين والمال والجاه، وذلك كله من متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب .

لذلك أرى أنه لا بد من أن نعرف المنهاج الإسلامي لحل المشكلة التربوية في العالم الإسلامي، ويبدأ المنهاج من قبل أن يولد الطفل وذلك باختيار الأب الصالح والأم الصالحة؛ ومراعاة الطفل في أثناء الحمل؛ وفي أثناء الرضاعة؛ وفي أثناء الطفولة المبكرة؛ وفي أثناء دخوله المدرسة والجامعة، وبذلك يتغلب على النفس الأمارة بالسوء وعلى نزغات الشيطان، ويأخذ مفاهيمه كلها من القرآن والسنة، وبذلك ينشأ الإنسان الصالح لا المواطن الصالح الذي تريده الحضارة الغربية .

وهذا الكتاب : يبين في الجزء الأول منه وظيفة المسلم وخصائص الشريعة الإسلامية وأساليبها وأزمة التعليم المعاصر أسبابها وطرق علاجها، وفي الجزء الثاني يبين العقبات التي تقف أمام الشباب في العصر الحاضر ومعرفة أسبابها وطرق علاجها، إلى جانب بيان وظيفة كل من الرجل والمرأة واختلاف كل منهما من الناحية البيولوجية؛ ومن الناحية الفسيولوجية؛ ومن الناحية الجسمية؛ ومن الناحية العقلية؛ ومن الناحية النفسية، وهما نوعان من جنس واحد ووظيفتهما واحدة يتعاونان على أدائها أداء سليما على أسس إسلامية فينتشر على الأرض كلها السلام والاطمئنان والعدالة الشاملة والمساواة بين الناس جميعا .

وبذلك يصبح المسلم متوازنا في كل شؤون حياته ومتميزا على غيره من البشر وقادرا على أداء وظيفته في هذه الحياة؛ فيرضى الله تعالى عنه في الدنيا والآخرة ولمثل هذا فليعمل العاملون .

علي القاضي

الفصل الأول

قضية التعليم في مصر

أسس الإصلاح والتطوير

فلسفة التربية في الإسلام :

الإسلام له فلسفة خاصة في مجال النظرة إلى الله تعالى والكون والحياة والإنسان والمجتمع، وله منهج فكري كامل شامل للحياة كلها وما فيها، والإنسان وصلته بالكون الذي يعيش فيه وبالله تعالى الذي خلقه وخلق الكون .

فالله سبحانه وتعالى خلق الكون وجعل الإنسان خليفة له في الأرض يؤدي رسالته في هذه الحياة طبقا للنظام الذي أراده الله تعالى، ولا يصح للإنسان أن يدعى الأصالة فيضع لنفسه المنهج الذي يسير عليه أو يطلق العقل فيما لا مجال له فيه، وهذا المنهج حقق للإنسان الاستقرار والاطمئنان ولا يوجد مجالا للخلاف بين الناس بعضهم بعضا أو عداوة بين الفلسفات التي تظهر في غيبة النظام الإلهي، وهذا النظام كفيل بأن يسعد هذا العالم الحائر لو أنه حاول أن يستفيد منه لكن الفلسفات الحديثة لا تريد أن تستفيد من الإسلام، بل إنها لتسعى جاهدة - ويعاونها الاستعمار في ذلك - لإخراج الإسلام عن مقوماته النفسية والروحية والاجتماعية، ومحاولاتها مستمرة لغزو الفكر الإسلامي وإخراجه عن قيمه ومناهجه، بل وتدمير مقوماته وإدخال مفاهيم أخرى للقضاء على ذاتيته .

وظيفة المسلم :

وظيفة المسلم في هذه الحياة وظيفة ضخمة وأثره كبير في هذا الوجود، فهو جزء من هذا الكون والكون ساحة لنشاطه وميدان لحضارته يدين بالعبودية لله تعالى ويتحرر من عبادة ما سواه من استدلال النظم والقوانين والأشخاص والشهوات والشيطان .

نعم إن المسلم سيد الكون كله وليس عبدا إلا لله الواحد القهار، ثم إن الكون كله مصدر رائع للمعارف والعلوم ومنبع لسكينة الإنسان وهدوء مشاعره، وبذلك يرفع الإسلام من اهتمامات البشر بقدر ما يرفع من تصورهم للوجود الإنساني كله وبقدر ما يكشف لهم أيضا عن علة وجودهم وحقيقته ومصيره.

والمسلم يحس بقيمته حين يعلم أن الله تعالى خلقه في أحسن تقويم وسواه ونفخ فيه من روحه وجعل الملائكة تسجد له وجعله خليفة له في الأرض.

والإسلام بهذا يرسي القواعد الأساسية التي لا تتغير ولا تؤثر فيها تطورات الحياة كما لا يؤثر فيها اختلاف النظم ولا تعدد المذاهب ولا تنوع البيئات، فمن قام بها وأداها كاملة فقد أدى وظيفته وحقق غايته في الوجود، ومن قصر فيها أو نكل عنها فقد أصبح بلا وظيفة في هذه الحياة بعد أن نكل عن وظيفته الحقيقية وأصبحت حياته خاوية من معناها الأصيل الذي تستمد منه قيمتها الأولى، ثم إذا به يسير إلى الضياع الذي يصيب كل كائن يتخلى عن وظيفته ويتفلت من ناموس الوجود الذي يربطه به ويحفظه ويكفل له البقاء، والإسلام يريح المسلم من الأسئلة التي قد لا يستطيع أن يجيب عنها ولا يجد في أية فلسفة إجابة عليها مثل: "من اين جئت؟ ولماذا جئت؟ وإلى اين اذهب؟" وهذه الإجابة تجعله يحس بأن وقته كله مشغول بتحقيق وظيفته في هذه الحياة.[1]

والمسلم بعد هذا كله له شخصية مستقلة وهو مسئول عن نفسه وعن عمله، قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فصلت: ٤٦].

انحلت العقدة الكبرى:

لم يزل الرسول ﷺ يربي أصحابه تربية دقيقة عميقة، ولم يزل القرآن يسمو بنفوسهم ويذكي جمرة قلوبهم، ولم تزل مجالس الرسول ﷺ تزيدهم

(١) كتاب اضواء على التربية في الإسلام تاليف "علي القاضي" دار الأنصار.

رسوخا في الدين وعزوفا عن الشهوات وتفانياً في سبيل مرضاة اله تعالى وحنيناً إلى الجنة وحرصا على العلم وفقها في الدين ومحاسبة للنفس، يطيعون الرسول ﷺ في المنشط والمكره وينفرون في سبيل الله خفافاً وثقالا ، قد خرجوا مع الرسول ﷺ سبعا وعشرين مرة في عشر سنين وخرجوا بأمره لقتال العدو أكثر من مائة مرة ...

وانحلت العقدة الكبرى -عقدة الشرك والكفر- فانحلت العقد كلها وجاهدهم الرسول ﷺ جهاده الأول فلم يحتج إلى جهاد مستأنف لكل أمر ونهي، وانتصر الإسلام على الجاهلية في المعركة الأولى فكان النصر حليفه في كل معركة ...

لقد كان هذا الانقلاب الذي أحدثه الرسول ﷺ في نفوس المسلمين وبواسطتهم في المجتمع الإنساني أغرب ما في تاريخ البشر، كان غريبا في سرعته وغريبا في سعته وشموله وفي وضوحه وقربه إلى الفهم، وقد أثر هذا الإيمان الصحيح في الأخلاق والميول؛ وفي وخز الضمير؛ وفي الثبات أمام المطامع والشهوات؛ وفي الأنفة وكبر النفس؛ وفي الاستهانة بالزخارف والمظاهر الجوفاء؛ وفي الشجاعة النادرة والاستهانة بالحياة ونقلهم من الأنانية إلى عبودية الخالق [٢].

الإسلام والحضارة الحديثة :

لقد قام المسلمون بدور رائع في نشر الحضارة الإسلامية بين ربوع العالم المعروف في ذلك الوقت حيث نشروا العلم الصحيح والعدالة الكاملة والحرية السليمة وأقبل الناس على الدخول في الإسلام رغبة لا رهبة واستطاع المسلمون بذلك أن يخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ومرت قرون طويلة يقومون برسالتهم ويعملون على نشر الدين والعلم والثقافة، ثم اختلط المسلمون

---

(٢) كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للعلامة بن الحسن الندوي علي بن علي الدوحة.

بالغرب عن طريق المعاملات وعن طريق الحروب وبدأ العالم الإسلامي في الضعف الذي مكن للغرب في البلاد الإسلامية عن طريق الاحتلال العسكري، وبدأ يضع خططه لإخراج المسلمين عن هويتهم، واصبح همه بالنسبة للمصريين [٣] تربية جيل من المصريين العصريين الذين ينشئون تنشئة خاصة تقربهم من الأوربيين ومن الإنجليز على وجه الخصوص في طرائق التفكير والسلوك" ومن أجل ذلك انشأت كلية فيكتوريا التي قصد بها تنشئة جيل من أبناء المسلمين الحكام والزعماء والوجهاء في محيط إنجليزي ليكونوا من بعدهم أدوات المستعمر الغربي في إدارة شعوب المسلمين، وليكونوا - في الوقت نفسه- على مضي الوقت أدواته في التقريب بين المسلمين وبين المستعمر الأوربي في نشر الحضارة الغربية.

وقد أعرب اللورد لويد الذي كان ممثلا ساميا لبريطانيا في مصر عن هذا الهدف حين قال في كلمة ألقاها في كلية فيكتوريا بالإسكندرية سنة ١٩٣٦م عن طلبة هذا المعهد وخريجيه : (كل هؤلاء لا يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العِشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ فيصيروا قادرين على أن يفهموا أساليبنا ويعطفوا عليها ... ومتى تسنى للجمهور أن يعرف هذه الكلية أكثر مما عرف عنها في الماضي يتنبه الآباء إلى أن تعليم أولادهم فيها يبني فيهم من الشعور الإنجليزي ما يكون كافيا لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرقي والغربي) .

واتخذ الاستعمار وسيلة أخرى لإيجاد هذا التفاهم المفقود وعمل على تنفيذها فهي أبطأ من الوسيلة الأولى ولكنها ابقى اثاراً وتتلخص في تطوير الإسلام وتفسيره تفسيرا يجعله يبدو متفقا مع الحضارة الغربية أو قريبا منها أو غير متعارض معها على الأقل بدل أن يكون عدوا لها أو معارض لمنهجها .

---

(٣) الإسلام والحضارة الغربية، د/ محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة

التطوير :

وخطر التطوير على المجتمع الإسلامي وعلى الإسلام يأتي من وجهين فهو إفساد للإسلام حيث أنه يشوه قيمه ومفاهيمه الأصلية بإدخال الزيف على الصحيح، ويثبت الغريب الدخيل ويؤكده . [٤]

نعم لقد ركز الاستعمار على التعليم وسيطر على كل جوانبه ليصل إلى ما يريد من صياغة المتعلمين صياغة جديدة تجعله قادرا على أن يسير بالأمة الإسلامية إلى ما يريد، وقد سيطر على كل جوانب التعليم، وعندما انحسر ظله لم يسلمها إلى أهلها مرة أخرى بل مضت تدار بإشراف أوليائه وتحت لواء أتباعه، ولقد كان المستعمرون غاية في الدهاء والمكر والبراعة عندما بدءوا معركتهم من المدرسة وعن طريق برامج التعليم ومن خلال الإرساليات التبشيرية التي سبقت ووضعت مناهج التعليم والتزمت وزارات المعارف بأن تنقل مناهجها ونظمها، وقد استطاعت قوى الاستعمار أن تفرض هذه المناهج على المدارس الأميرية .

فقبل الاحتلال انتشرت مدارس الإرساليات في مختلف أجزاء العالم الإسلامي فقد بلغت الإرساليات في فترة ما بين [١٨٤٤-١٩٤٣] ٢٣ إرسالية باسم الراهبات و٣٥ مدرسة الفرير بالإضافة إلى كلية سانت كاترين وكلية سان مارك، وهذه كلها فرنسية .

أما الإنجليزية فقد كان عددها ٢٤ مدرسة تابعة للبروتستانت والكاثوليك إلى جانب كلية فيكتوريا بالمعادي وكلية فيكتوريا بالإسكندرية وكلية البنات الإنجليزية بالإسكندرية .

أما المدارس الأمريكية فقد كان عددها ٨٨٧ مدرسة بها ١٠٩ ألف تلميذ، إلى جانب مدرسة البنات الأمريكية وكلية البنات سنة ١٩٠٩، والجامعة الأمريكية

---

(٤) مقدمات العلوم والمناهج المجلد السادس، الأستاذ أنور الجندي، دار الأنصار .

سنة ١٩١٩، وكلية أسيوط سنة ١٨٦٥ ... وهكذا .

وبعد الاحتلال الإنجليزي وفد إلى مصر ١٨ إرسالية من سنة ١٨٨٢ إلى ١٩١٣ وتم إنشاء ٣٠ مدرسة للفرير بعد الاحتلال، وأبرز ما قامت به مدارس الإرساليات :

١- إغفال اللغة العربية وإتقان اللغة الأجنبية .

٢- رعاية دين وأخلاق هذه البلاد .

٣- إيجاد طبقة مستعلية على أبناء المسلمين .

٤- تفكك الأسرة المسلمة حيث تجد الأسرة الواحدة مقسمة بين تقاليد متعددة ولكل فرد تفكيره الخاص ونظرته المختلفة إلى الأمور .

وقد أعلن زويمر رئيس المبشرين في البلاد العربية في الثلاثينيات خطة الأوربيين في التعليم التي تتلخص في :

١- عزل كل قطر إسلامي عن الآخر وعزل كل جماعة عن الجماعات الأخرى في كل قطر .

٢- جعل الاهتمام قائما على المظهر والزينة .

٣- الحرص على ثنائية التعليم الديني والمدني لإيجاد طبقتين متميزتين كل منهما عن الأخرى متصارعتين .

٤- جعل الشخصية الغربية هي المثل الأعلى .

٥- بناء مناهج الدين والتاريخ على الأساس الغربي .

وقال زويمر : (إن السياسة الاستعمارية قضت في نصف قرن على برامج التعليم في المدارس الابتدائية على القرآن الكريم وعلى التاريخ الإسلامي، وبذلك أخرجت المدارس ناشئة لا هي مسلمة ولا هي مسيحية ولا يهودية، ناشئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقا، فلا كرامة للدين ولا حرمة للوطن .[٥]

---

(٥) أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، د/زغلول النجار، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

أزمة التعليم المعاصر :

يؤخذ على النظم التربوية المعاصرة على تباين أشكالها ما يأتي :

١- عدم وجود فلسفة تربوية صحيحة لها .

٢- جمودها وعجزها عن مسايرة التطورات الاجتماعية المتسارعة .

٣- اتباعها نظم قبول متباينة وغير سليمة .

٤- اقتصار نظم التعليم المعاصر على نقل المعلومات أو التدريب على عدد من المهارات .

٥- اقتصار هدف الطلاب من التعليم على الحصول على الشهادة .

٦- اتباعها لنظم مناهج محددة وفشل هذه المناهج في تربية الناشئة .

٧- اعتمادها لنظام الامتحان كأسلوب أساسي لعملية تقويم الطلاب وفشل ذلك الأسلوب.

٨- الفصل بين المواد الإنسانية والعلمية .

٩- التمييز بين التعليم العام والتعليم التقني .

١٠- الخلاف على مهمة الجامعات وهل هي للتعليم أم للتدريب المهني أم للبحث .

١١- انقطاع النظم التعليمية المعاصرة عن الحياة وعن المجتمعات .

١٢- افتقارها إلى النظرة الإنسانية الشاملة .[٦]

ومن الأسباب القيادية للأزمة : (فقدان القدوة الحسنة)

فساد القمة ينعكس على النظم التعليمية ذاتها، فكما فقدت المجتمعات قدوتها الحسنة في غيبة الحكام الشرعيين فقد فقدتها معاهد العلم التي كثيرا ما يتحكم فيها ضباط الانقلابات العسكرية أو الإداريون البيريقراطيون أو السياسيون الطامحون أو رجال الأعمال المستغلون، وهنا تنحسر المراكز التربوية عن دورها القيادي فتفسد المجتمعات .

---

(٦) المرجع السابق .

وساعد على ذلك تلك القيود الظاهرة والمستترة التي تفرض على المثقفين من قبل الحكومات المستبدة والتي أصبحت من سمات العصر البارزة، وكذلك الآثار السيئة الناتجة عن التكتلات السياسية والعقدية والمذهبية غير الرشيدة وتكتلات الأقليات الأنانية والتي كثيرا ما تؤدي إلى إقصاء الصفوة القيادية وإحلالها بالمتسلقين والانتهازيين والوصوليين والذين يشكلون الخطر الأهم على العملية التربوية .

الأسباب النفسية للأزمة :

فقد أُهملت عوامل الارتباط الشخصي والأهداف الجماعية والتي لا يمكن تحليلها بنفس الدقة العلمية .

وتنطلق الأطر السلوكية المستفادة من بعض المجالات الفردية على الإنسان بعامة، وهذا أحد الأسباب الجوهرية لتدهور الإنسان في زماننا، بالإضافة إلى أن التحليل النفسي الذي يفتقر إلى فهم صحيح لحقيقة الإنسان ووضعه في الكون، ورسالته لابد وأن يأتي تحليلا ناقصا لأنه سيقتصر على قليل من الحضارة الجديدة التي لا تعكس إلا قدراً ضئيلا من طبيعة الإنسان .

الأسباب الأخلاقية للأزمة :

القيم الاجتماعية التي يجب أن تحكم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان وبالمجتمع الذي يحيا فيه قد أُخرجت عن إطارها الأخلاقي لتبقى ألفاظا تنطقها الشفاه وتسخرها لخدمة الأنانية الإنسانية والطمع الشخصي .

فقدان التربية الدينية :

السمة الغالبة على التعليم المعاصر هو أنه تعليم لا ديني (علماني) لا يؤمن إلا بالمحسوس المدرك فهو ينكر أو يهمل كل ما هو غيبي، ومن هنا أتت المعارف المتداولة في معاهد العلم قاصرة منقوصة، وأتت العلمية التعليمية عاجزة عن القيام بدورها التربوي، فالمادة وحدها لا يمكن أن تحقق للإنسان أي قدر من السعادة .

وبذلك أضحت النظم التعليمية وسيلة لنقل المعلومات والتدريب على قدر من المهارات، وهذا هو السر في أن الأنانية والمبالغة في الإحساس بالذات والتردد والخوف من الارتباط بأية قيم اخلاقية او دينية قد اصبح من سمات المعاهد التعليمية المعاصرة .

هذا هو سر أزمة التعليم التي نواجهها .

ومن أسباب مشكلة التعليم في مصر أن أجهزة الإعلام تساعد مساعدة سلبية على حل المشكلات في مصر ، فهي تدخل كل بيت في كل مكان وفي كل وقت وأصبح تأثيرها قويا حتى على الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات، وهي بالتالي موجهة لأداء هذا الدور حتى تؤدي الذي يريدونه، كما أن وزارة الثقافة تقوم بدورها في هدم القيم الإسلامية بصورة أو بأخرى وهي بالتالي موجهة لأداء هذا الدور حتى تصل إلى الهدف الذي يريدون الوصول إليه .

وكان من نتيجة ذلك :

- أن الطالب أصبح غير قادر على تمييز الخير من الشر والنافع من الضار.
- أن المعلمين يسيرون في طريق لا يهدف إلا إلى المصلحة الخاصة أو السلبية المتناهية .

وبذلك :

- زادت الديون الخارجية والداخلية على مصر ، بل إنها لتتزايد باستمرار .
- أصبح الكثيرون من الشباب بل ومن المسئولين تائهين حائرين أو عاملين لمصالحهم الخاصة ولا يخدمون الوطن إلا بالكلام والأغاني لمصر .
- أصبح الناس يبتعدون شيئا فشيئا عن القيم الإسلامية والأخلاق التي تبني ولا تهدم .
- اصبح الجميع في حيرة لا يعرفون ماذا يفعلون؟ ولا إلى أين يسيرون؟ ولا إلى أي شيء يهدفون؟ .

ترى كيف تحل المشكلة التربوية في مصر :

هناك أسس عامة ينبغي أن تعتنقها الدولة وتعمل على نشرها بعد أن تؤمن بها وأن يعمل جميع الأفراد في المجتمع على تطبيقها بعد الإيمان بها، وهي :

أولا : الانطلاق إلى التربية في كل اتجاهاتها وبكل صورها من منطلق إسلامي :

بحيث تكون تربية الطفل مسئولية كل فرد وكل هيئة وأن نبدأ بالتوعية في أن تكون عوامل التربية كلها متضافرة على تربية الطفل التربية الكاملة المتكاملة لكي يستطيع أن ينشأ نشأة صالحة تجعله قادراً على أن يؤدي وظيفته في هذه الحياة .

عوامل التربية في الإسلام :

وعوامل التربية في الإسلام هي الأسرة والمسجد والمدرسة والمجتمع .

١- الأسرة : الأسرة هي البيئة الطبيعية لنشؤ الطفل، والأسرة هي أفضل نظام لتربية الأطفال وتزويدهم بالعوامل النفسية والثقافية اللازمة لنموهم وتقدمهم وحمايتهم .

والإسلام قد أوصى باختيار الرجل الصالح عند الزواج، فقال النبي ﷺ : (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) [الترمذي وابن ماجة] .

كما أوصى باختيار المراة الصالحة عند الزواج، فقال ﷺ : (تنكح المراة لأربع لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك) [البخاري] .

ولذلك فإن الإسلام قد تدخل لمصلحة الطفل قبل أن يولد وذلك بتوفير البيئة الصالحة له ولتربيته ولإعطائه حاجاته الجسمية والنفسية والعقلية والخلقية .

٢- المسجد : يمثل المسجد في الإسلام عاملا هاما من عوامل التربية فهو مكان للعبادات ومكان للتربية أيضا، وكان المربي الأول صلوات الله وسلامه عليه يلاحظ حال تلاميذه ويخالطهم ويتخذ خير الطرق لتربيتهم وتثبيت المعلومات في عقولهم والسير بهم إلى الاتجاهات الإسلامية وجعلهم يسلكون

السلوك الذي يتلاءم مع التربية الإسلامية ويسير مع المنهج الإلهي .

ولم تقتصر رسالة المسجد على التعليم بل تعدته إلى تقوية الروابط الاجتماعية وتوثيق الروابط الأخوية وإشعار أعضاء المجتمع الإسلامي بأنهم أخوة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، واستمر المسجد يؤدي دوره التربوي في جميع العصور الإسلامية، وحتى عصرنا الحاضر حيث انتشرت المدارس وأصبح دوره قاصرا على أداء الصلوات

٣- المدرسة : نشأت المدرسة في الإسلام نشوءاً طبيعيا تدريجيا فكانت قليلة العدد في بداية الأمر، وما زالت تنمو حتى أصبحت في صدر الدولة العباسية كثيرة ومنتشرة في البلدان الإسلامية انتشارا كبيرا، والمدرسة توجد توازناً في حياة الطفل من الناحية الفردية ومن الناحية الاجتماعية، فهي حلقة وسط بين البيئة المنزلية وبين المجتمع الحقيقي وهي تؤثر في مفاهيم التلاميذ وفي تكوين معتقداتهم، كما تؤثر في سلوكهم عن طريق التقليد والاستهواء والإيحاء وما إلى ذلك .

وقد أخذت المدرسة - بذلك - جزءا كبيرا من وظيفة المسجد في التربية، وهي لذلك تعتبر مكملة له - بما لها من إمكانيات لا توجد في المسجد- وبخاصة في عصور العلم والتكنولوجيا أو هي امتداد للمسجد ورسالته، وذلك إذا ما كانت التربية فيها تسير على أساس العقيدة الإسلامية والتعليم يسير على أساس تحقيق أهداف الإسلام .

٤- المجتمع : المجتمع عامل هام من عوامل التربية -لما فيه من تنوع ولما له من آثار كبيرة- فهو يشمل كل ما في المجتمع من أصدقاء ومن صحافة وإذاعة وتلفاز وخيالة وهيئات دينية واجتماعية ورياضية ... الخ .

الإسلام يعطي صورة لأهمية المجتمع وتأثير بعضه في بعض وذلك في الحديث الشريف الذي يقول : (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في

أسفل إذا ما استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو اننا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) [البخاري] .

ومن هنا فإن الإسلام يضع قاعدة للمجتمع تجعل كل فرد يحس بمسئولية الإحساس الكامل، فيقول ﷺ : (من راى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الإيمان) [البخاري].

وهو بذلك يجعل المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

ويبين الرسول ﷺ اثر الجليس الصالح وجليس السوء حتى يكون كل فرد على بينة من أمره فلا يصاحب إلا الصديق المخلص الناصح الصالح، فيقول: (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كصاحب المسك ونافخ الكير، فصاحب المسك إما أن يحذيك وإما أن تشتري منه وإما أن تشم منه رائحة طيبة، ونافخ الكير يحرق بدنك وثوبك أو تجد منه رائحة خبيثة) [٧]

ثانيا : تربية الإنسان الصالح :

وإذا كانت التربية الغربية قد عنيت بتربية المواطن الصالح فإن التربية الإسلامية قد عنيت بتربية الإنسان الصالح وفرق كبير بينهما هو الفرق بين القومية الضيقة والإنسانية العامة، ومن الأوضاع الطبيعية في التربية الغربية وجود الاستعمار والاستغلال والظلم خارج الوطن، وهذا لا يخرج المواطن عن كونه صالحا، بل لعل هذا هو السلوك الذي يجعله صالحا، لكن الإسلام هو الدين الذي ينادي بالمساواة الكاملة بين الناس جميعا، والقرآن الكريم يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

(٧) كتاب اضواء على التربية في الإسلام - مرجع سابق.

عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات : ١٣].

ويهتف في المسلمين : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل : ٩٠].

وينادي المسلمين أن تكون العدالة بين الناس جميعا حتى ولو كانوا غير محبوبين لهم فيقول : ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة : ٢].

وأسلوب التعامل قائم على المودة والتسامح واحتساب الأجر عند الله تعالى، يقول الله تعالى : ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت : ٣٤، ٣٥].

وتربية الإنسان الصالح تشمل تربيته من جميع النواحي (الجسم والعقل والوجدان والسلوك) حتى يكون صالحا .

١- تربية الجسم : العناية بالجسم أساسية في الإسلام لأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، فهو يستطيع أن يؤدي وظيفته، وتبدأ العناية بالطفل جسميا وهو في بطن أمه فقد أباح الإسلام للأم الإفطار في رمضان إذا ما كان في الصوم ضرر للطفل ثم العناية بإرضاعه طوال عامين، وقد جعل الإسلام من حقوق الولد على والده أن يعلمه السباحة والرماية وركوب الخيل، يقول عمر بن الخطاب ﷺ : (علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا) واللعب يربي الجسم ولذلك كان حقا من حقوق الطفل، وكان رسول الله ﷺ يلعب مع الصبيان [ابن حنبل]، وفي الحديث أن الرسول ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الصبيان

[ابن حنبل ومسلم]، وكانت السيدة عائشة تلعب بالبنات عند رسول الله ﷺ [ابن حنبل ومسلم] .

٢- تربية العقل : العقل طاقة ضخمة انعم الله بها على الإنسان، والإسلام يقدر هذه الطاقة ويدربها ليستخدمها المسلم في أداء وظيفته وقد وضع لذلك المنهج الصحيح للنظر العقلي وطلب من المسلم تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط كما طلب التثبت من كل شيء : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦]، هذا المنهج جعل المسلمين يتميزون بالدقة العلمية في اتجاهاتهم على الرغم من قلة الإمكانيات التي كانت معهم.

والإسلام يوجه العقل البشري إلى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور الحقيقية في المجتمعات ويستخدم طاقاتها الواعية في تدبرها والبحث عن أساليبها ونتائجها، وطلب من الناس جميعا أن ينظروا ويتفكروا : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس : ١٠١]، كما يوجه العقول إلى استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الإنسان : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك : ١٥]، والإسلام رفع من شأن العلم والعلماء لأنهم هم الذين يقومون بمهمة التربية ويحققون رسالة الإسلام : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ ﴾ [المجادلة : ١١] وجعلهم المرجع الأخير في الأمور : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٤٣] .

٣- تحرير الوجدان : ومن اهم أهداف التربية في الإسلام تحرير الإنسان المطلق بتحرير وجدانه من عبادة غير الله تعالى وبتحرير الإنسان أيضا من

الخضوع للقيم الاجتماعية كالحسب والنسب وقالها صريحة : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣]، وقد طلب الإسلام من المسلمين ان يتقوا الله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا وجعل الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوي .

وحرر النفس البشرية من ان تذل لأي شيء سواء أكان ذلك حب المال أم حب النساء أم حب الجاه لأن ذلك كله متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن الثواب في الآخرة وهي باقية غير فانية.

٤- تهذيب السلوك : ومن أهداف التربية الإسلامية تهذيب السلوك الإنساني وجعله يسير على المنهج الإسلامي فكل مسلم عليه أن يؤدي واجبه نحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه ونحو ربه، وكل إنسان راع ومسئول عن رعيته يقول ﷺ : (كلكم راع ومسئول عن رعيته) [البخاري]، كما تهدف التربية الإسلامية إلى البعد عن الانفعالات الضارة بالجسم والعقل والتي تسير العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، يقول الله تعالى : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

ولا تكتفي التربية الإسلامية بهذا بل إنها تهدف إلى أن تحل محلها الانفعالات الطيبة لبتي توصل إلى إسعاد الفرد وإسعاد المجتمع كالعفو عن المسيء والعطف عليه ومعاملة الناس بالحسنى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ ﴾ [فصلت : ٣٤ - ٣٥].

والمقياس الصحيح للأعمال الصالحة في الإسلام النية ولذلك يقول النبي ﷺ : (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم) [ابن حنبل وابن ماجة]، والإيمان الصحيح متى استقر في القلب ظهرت آثاره في

السلوك، والإسلام قوة متحركة لا ترضى بالسلبية، فهي بمجرد تحققها في عالم الشعور تتحرك لتحقق مدلولها في الخارج ولتترجم مدلولها في الخارج ولتترجم نفسها إلى حركة وإلى عمل في عالم الواقع .[٨]

وهدف الإسلام في التربية يقوم على أساس تحويل الشعور الباطن بالعقيدة وآدابها إلى حركة سلوكية واقعية وتحويل هذه الحركة إلى عادات ثابتة أو قانون لتبقى حية متصلة بينبوعها الأصيل.

ثالثا : خطة التربية :

- أن توضع التربية بأهدافها المتميزة لكل المشتركين في التربية وهي الأسرة والمدرسة والمسجد والمجتمع بما فيه من أندية وأجهزة إعلام ووزارة ثقافة وغير ذلك.
- وأن تكون خلفية الدراسات كلها من المنظور الإسلامي.
- وأن تكون أسس التربية هي الإيمان بالله تعالى وبوظيفة الإنسان في هذه الحياة وأن المعرفة حق إنساني، مع مراعاة الفطرة الإنسانية والفروق الفردية.
- أن يكون العلم واستخدام منتجات العلم باسم الله تعالى في التلقي وفي البحث وفي الممارسة العلمية والعملية.
- أن يكون الحرص على الخلق القويم والسلوك السليم أساس من أسس التربية.
- أن يكون العمل لله تعالى وفي سبيل الله تعالى من المهد إلى اللحد.
- أن تنبع أهداف التربية من نظرة الإسلام التي ترى أن الإنسان مخلوق متميز وأنه سيد هذا الكون وليس عبدا إلا لله تعالى الذي خلقه في أحسن تقويم ووكل إليه خلافة الأرض يعمرها طبقا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى.
- أن يكون العمل في ظل خصائص التربية.

---

(٨) اضواء على التربية في الإسلام - مرجع سابق.

رابعا: خصائص التربية الإسلامية:

لقد أقام الإسلام نظاما فريدا لتربية أبنائه على أساس تكوينهم يحفظ عليهم كيانهم ويحقق التوازن الكامل بين طاقاتهم بحيث لا تدمر فيه طاقة من الطاقات، بل تعمل كلها في انسجام تام بلا طغيان ولا ضعف وذلك كالفرقة الموسيقية المتكاملة المتلائمة التي تؤدي وظيفتها على أكمل وجه، ولا غرابة في ذلك فإن الله سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان هو الذي أتى بهذا النظام الذي شمل حياة الإنسان كما شمل التربية بجميع خصائصها فهو أعلم بمن خلق وهو اعلم بحاجاتهم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

١- وحدانية المعبود: والإيمان بالله وحده لا شريك له هو حجر الزاوية في التربية الإسلامية لأنه يبعث في النفس الطمأنينة والثقة بالطريق السليم وعدم الحيرة أو الخوف أو اليأس، وفي الوقت نفسه يجعل المسلم متجردا من الهوى والغرض الشخصي وتحقيق المغانم الخاصة ذلك لأن القلب البشري يصبح متعلقا بهدف أبعد من ذاته وهو تحقيق الخلافة في الأرض.

٢- الروحانية والمادية: ومن خصائص التربية الإسلامية اعتراف الإسلام بأن الإنسان مزيج من الروحانية والمادية وهو يحرص على المحافظة عليهما في توازن واتساق، وقد قامت تكاليف الإسلام كلها على الاعتدال من ناحية وعلى التيسير على الناس من ناحية أخرى، والإسلام يطلب من المسلم أن يكون معتدلا في كل شيء فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

٣- التوازن: والتوازن هو القاعدة الكبرى في التربية الإسلامية، والإسلام يرى أن الغلو كالتفريط يخل بالتوازن وهو يعترف بقيمة الفرد ويحمله المسئولية الفردية ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥].

الإسلام لا يمحق الفرد ولا يهمل وجوده، كما أنه لا يتطرف في الفرد على حساب الجماعة، فالفرد شخصية مستقلة ولكنه عضو في جماعة متحدة

الهدف وفي العمل وفي النهاية ترتبط بالله سبحانه وتعالى، ويتمثل التوازن أيضا في السلبية بالنسبة للخالق سبحانه وتعالى والإيجابية بالنسبة للبشر، ومن التوازن أن يكون الإنسان وسطاً في كل أعماله فلا إسراف ولا تقطير وهكذا .

٤- شمول المنهج وتكامله : يقصد بالشمول : أن تعاليم المنهج يشمل الفرد في حياته خاصة وفي حياته العامة، كما تشمل المجتمع في صلة افراده بعضهم ببعض وفي صلتهم بالعالم الخارجي.

ويقصد بالتكامل : أن توجيهات المنهج كلها ترتد في وحدة محكمة وفي صورة كاملة شاملة للحياة كلها، ويرجع ذلك إلى وحدة المصدر وهو الخالق وإلى وحدة الموضوع وهو الإنسان، وعقيدة التوحيد تمتاز بأنها منهج كامل في التفكير وفي التربية .

٥- المنهج العلمي : من خصائص التربية الإسلامية الاهتمام بالمنهج العلمي والاعتماد على العقل ولذلك فإنه لا يوجد صراع بين العقل والدين .

والمنهج العلمي في الإسلام يقوم على أساسين الأول : على أساس إطلاق العقل ليعمل في الكون كله، والثاني : على فهم ان الكون محكم بقوانين وقدرة الله تعالى ومشيئته لا تسقط عمل القوانين.

والإسلام لذلك يحارب التقليد وينعى على المقلدين فيقول : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٠]، ويدعوا إلى الفهم والتدبر ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس : ١٠١]، ومن هذا المنطلق يطلب الإسلام من المسلم ان يستخدم عقله في التثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ

كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦]، ثم إن الإسلام يوجه العقل البشري إلى استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الإنسان ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة : ٥٧] .

٦- المساواة : من خصائص التربية الإسلامية أنها ترد البشرية كلها إلى أصل واحد فلا عصبية للجنس ولا للون، وهي بذلك تزيل الحواجز الجغرافية والنفسية، ثم إن رسالة الإسلام للبشرية كلها على امتداد الزمان والمكان، والعلاقة بين المؤمنين علاقة مودة وحب، كما أن العلاقة بين المؤمنين وغيرهم علاقة مودة واطمئنان ما داموا راغبين في ذلك حتى ولو لم يكونوا أهل كتاب .

٧- التميز : وقد أقام الإسلام شعائره التعبدية كلها بصورة تميز المسلمين عن غيرهم، فهي تتخذ شكلا ظاهرا سواء أكان في العمل أو التوجه إلى الكعبة، وبذلك ينشأ في المسلم شعور بالتميز، وقد نهى الإسلام عن التشبه بغير المسلمين ومن ذلك قوله ﷺ : (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) [متفق عليه] ذلك لأن المشابهة في الظاهر تورث محبة وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وفوق ذلك فإن المشابهة في الظاهر سبب للمشبهة في الأخلاق، وقد تصل إلى المشابهة في المعتقدات .

٨- عدم اختزان الطاقة : والإسلام لا يختزن الطاقة في الإنسان، بل إنه يملأ النفس والجسم بشحنات مختلفة يفرزها إفرازا فطريا طبيعيا، ثم تنطلق هذه الشحنات في عمل إيجابي إنشائي لتعمل في سير البناء والتعمير والخير، والمهم ألا يختزنها الإنسان أكثر مما ينبغي، فالاختزان الطويل بلا غاية مضر بكيان الإنسان وهو لذلك يفرغ طاقة الحب في حب الله ورسوله والمؤمنين والجهاد وعمل الخير، كما يفرغ طاقة الكره في كراهية الشيطان

وفي كراهية الشر والمنكرات، كما أنه لا يترك استهلاك جهده في تحقيق مطالب الجسد الحيوانية حتى لا تستعبده، بل يضبطها ويهذبها وينظفها ولكنه لا يكبتها.

والإسلام يوجه طاقة الإنسان إلى العمل المنتج المفيد الذي هو ثمرة الإيمان بالله، والقرآن الكريم يؤكد تأكيدا شديدا على العمل الصالح الذي يذكره في آيات كثيرة ومنها : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [يونس: ٩].

٩- الاستمرارية : الإسلام يرى أن التعليم مدى الحياة هو الأساس للتعلم في المجتمع الإسلامي على امتداد العصور لذلك فقد عرف أن الإسلام يطلب العلم من المهد إلى اللحد ذلك لأن باب العلم واسع وأوجهه كثيرة ومكتشفاته مستمرة، والإسلام بهذا سبق كل الحضارات في اعتبار العلم ضرورة من ضرورات الحياة يحتاج الإنسان إليها من المهد إلى اللحد كالماء والهواء والغذاء، وهذا المعنى لم تدركه المجتمعات الإنسانية إلا حديثاً.

والمدارس ما هي إلا وسائل لإعطاء القدر الضروري من التعليم المنظم وإكساب التلاميذ الاتجاهات والقيم التي تمكنهم من أن يستمروا في تعليمهم مدى الحياة.

والمسلم حين يقرأ الآية الكريمة : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، فإنه يدرك أن الإسلام يطلب منه الاستزادة من العلم طوال حياته حتى يدرك أكبر قدر ممكن من التعليم الذي يفيده في حياته ويمكنه من تحقيق رسالته على الأرض باعتباره خليفة لله فيها، يقوم بعمارتها وفق تعاليم الإسلام وينشر بين ربوعها الأمن والعدالة والمحبة والاطمئنان.

١٠- الشمول : من خصائص التربية الإسلامية الشمول وقد أخفقت الأسس

الفكرية التي قامت عليها الإيديولوجيات الحديثة لأنها ترتكز فقط على المظهر المادي والاجتماعي والسياسي للمشاكل في رؤية زمنية محددة ولم تؤمن بالنواحي الدينية ومن هنا جاء فشلها لأنها أهملت جانب الروح .

وقد شملت التربية الإسلامية الإنسان من جميع نواحيه حتى لا يعيش في جوع من الناحية الجسمية ولا في ظلام من الناحية العقلية ولا في اضطراب من الناحية الاجتماعية .

وقد وصل المسلم إلى ذروة الاستقلال العقلي لأنه خرج من الاستبداد الفكري ومن الحجر والوصاية على عقله، والإسلام لا يحجر على الفكر بل أنه يطلب التفكير والاجتهاد ولذلك فمن الطبيعي أن تجد في الفقه الإسلامي عبارة (اختلاف العلماء رحمة) يقصد بذلك أنه رحمة لمصلحة الأمة ثم لمصلحة ازدهار الحياة الثقافية التي تضمحل دائما في فترات حكم الاستبداد كيفما كان لونه .[٩]

خامساً : أساليب التربية في الإسلام :

للإسلام أساليبه الخاصة في التربية، وقد اتخذ طرقا مختلفة إذا أحسن استخدامها فإنها تؤدي إلى تربية المسلم التربية التي تجعله قادرا على تحقيق رسالة الإسلام .

وتتلخص أساليب التربية الإسلامية في الطرق الآتية :

١- التربية عن طريق القدوة : القدوة لها أهمية كبيرة في تربية الفرد وتنشئته وبخاصة في مرحلة الطفولة ذلك لأن الطفل يكتسب ألوان السلوك من خلال تقليده للآخرين ومحاكاتهم، وعن طريق القدوة يتشرب الطفل المثل والسلوك، ولقد كان سيدنا محمد ﷺ هو القدوة الكاملة للمسلمين، يقول الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن

(٩) أضواء على التربية في الإسلام - مرجع سابق

كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١]، والإسلام يقيم التربية على أساس القدوة، فالطفل له قدوة في اسرته وفي مدرسته، وقد عاب القرآن الكريم الذين يقولون ما لا يفعلون وبين لهم ان هذا يغضب الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف :٢- ٣] .

٢- التربية عن طريق العادة : العادة تؤدي دورا خطيرا في حياة الإنسان، ذلك لأنها توفر قسطا كبيرا من الجهد البشري بتحويله إلى عمل سهل يؤديه الإنسان في صبر، وطريقة تكوين العادة يكون بتكرار عمل معين مرات كافية لجعله جزءا من حياة الإنسان كالصلاة والصيام .

والتربية الإسلامية تحول الخير كله إلى عادات يقوم بها الإنسان دون جهد أو مقاومة ويحول دون الألفة الجامدة بالتذكير الدائم بالهدف والربط الحي بين القلب البشري وبين الله تعالى .

٣- التربية بالمواقف المختلفة : المواقف المختلفة التي تأتي للإنسان تعمل على صهره إذا ما وطن نفسه على حل مشكلاتها وذلك يجعل الإنسان قويا بعد تغلبه على الصعوبات التي تصادفه لذلك فقد طلب القرآن الكريم من المسلم ان يكون صابرا فقال تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان : ١٧]، وعلى هذا النظام ينبغي ان يسير الأب مع ابنائه والمعلم مع تلاميذه والقائد مع جنوده وكل من بيده ألوان من التربية والتعليم حتى تؤدي هذه الطريقة ثمارها المرجوة .

٤- التربية عن طريق الإقناع : في النفس البشرية ميل إلى الاستجابة إذا هي اقتنعت، والقرآن الكريم يعمل على الإقناع من ذلك ما قاله لقمان لابنه : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ

عَظِيمٌ﴾ [لقمان : ١٣]، وكان رسول الله ﷺ يخاطب الناس على قدر عقولهم ويأمر بهذا ولم يكن يكثر من توجيه أصحابه في جلسة واحدة خشية أن يسأموا، يقول ابن عباس رضي الله عنهما : (كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام مخافة السآمة علينا) .

والتربية الإسلامية يهمها أن يدرك الأطفال الأساس العقلاني لأية قضية مطروحة حتى يكون اقتناعهم عن فهم، لذلك فإنه ينبغي أن تتاح الفرصة للتلاميذ للمناقشة الجادة البناءة حتى تلقي الضوء على جوانب الموضوع المختلفة ومن خلال ذلك يمكن أن يقتنع التلاميذ .

والتربية الإسلامية تهتم بتربية المسلم التربية السليمة التي تمكنه من التحكم في عواطفه والسيطرة عليها والبعد عن التعصب الأعمى .

٥ - التربية بالثواب والعقاب : الله سبحانه وتعالى خلق الجنة وخلق النار وقد وعد بالجنة وأوعد بالنار، فالنفس البشرية تحتاج إلى الثواب وإلى العقاب .

ويبدأ الإسلام بالترغيب ويستخدم كل الوسائل الممكنة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴾ [الكهف : ١٠٧، ١٠٨]، فإذا لم يفلح هذا الأسلوب فإن الترهيب هو الوسيلة لمن يحتاج إليها ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [المائدة : ٣٨].

ومعنى ذلك أن الإسلام لا يجاري النفوس في انحرافاتها ولا في تقصيرها ولا أن يلتمس لها الأعذار، فإن نتيجة ذلك كله أن يزيد عدد المنحرفين في المجتمع حتى يصبح الانحراف هو الأساس، والرفق الزائد كالقسوة الزائدة كلاهما يفسد النفس البشرية .

٦- التربية بالمعرفة النظرية : للمعرفة قيمة حقيقية في الإسلام، والإسلام

اعتبر العلم طريقا لطاعة الله وخشيته كما فرق بين اللذين يعلمون وبين اللذين لا يعلمون وقال إنهم لا يستوون .

والعلم ينمي العقل والفكر ويساعد على تكوين خلفية ثقافية تجعله قادرا على أن يؤدي دوره في الحياة، والمعرفة النظرية تستلزم السلوك حتى يكون لها فائدة، وبذلك يكون هناك ربط بين الفكر والعمل وبين النظرية والتطبيق .

٧- التربية بالنصح والإرشاد : أسلوب النصح والإرشاد فيه مجال كبير للتوجيه إلى ما فيه الخير ويمكن للمعلم أن يختار الوقت المناسب والموقف المناسب حتى تكون الفائدة كاملة .

والأسلوب غير المباشر فيه فائدة كبيرة لأنه لا يحرج الإنسان، وفي الوقت نفسه يؤدي إلى الغاية المنشودة .

وقد شرع الله تعالى خطبة الجمعة وخطبة العيدين وما إلى ذلك من الخطب التي تقال في المناسبات المختلفة لتذكير الناس ونصحهم وإرشادهم إلى ما يصلحهم في الدنيا والآخرة .

٨ - التربية بالقصة : النفس البشرية فيها ميل فطري إلى القصة، والتربية الإسلامية تدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب لذلك فإنها تستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم.

والتربية الإسلامية تستخدم كل أنواع القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها، والقصة الواقعية التي تعرض نموذجا لحالة بشرية، من النوع الأول قصص الأنبياء وقصص المكذبين بالرسالات وما أصابهم من التكذيب، ومن النوع الثاني قصة ابني آدم وقصة أصحاب الجنتين يقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف : ١١١] .

إن الإسلام هو الدين الذي يصب في الحياة كلها السلام، السلام الذي يحس به المسلم في داخله فيحس بالهدوء وتحس به الأسرة فتحس بالسكن والمودة ويشيع في المجتمع فيحس الجميع بالأمن والمساواة والعدالة، والله سبحانه وتعالى هو السلام الذي خلق الإنسان وكرمه وفضله على سائر مخلوقاته وجعله خليفة له في الأرض وهو به رحيم وقد أرسل الرسل لهدايته وبين له طريق الخير وطريق الشر وسخر له الكون ليكون في خدمته، والمسلمون مستسلمون لله تعالى بكيانهم حتى لا يبقى شيء من شعور أو عمل لا يخضع لله ولا يرضى بحكمه طاعة له، والمسلم حين يستجيب هذه الاستجابة يدخل في عالم كله سلام فلا قلق ولا حيرة ولا صراع في الحياة المادية حيث تداس فيها القيم والحرمات بلا تحرج ولا حياء.

وإحساس المسلم بأن له رسالة سامية في هذه الحياة تجعله يرتفع بشعوره وضميره ونشاطه وعمله بحيث لا يستخدم في الوصول إلى أهدافه إلا الوسائل المشروعة، وليس من المهم أن يصل لأن أجره سيأخذه على نيته وعمله لا على الوصول إلى هدفه.

ومن هنا فإن المسلم دائما يحس بالطمأنينة، لأنه يمشي مع قدر الله تعالى في طاعة لله تعالى وهذا يعطيه الأمن ويجعله يسير في الحياة بلا قلق ولا حيرة ولا يصطدم بالكون ولا يبذل طاقته في الصراع الداخلي.

والمجتمع الإسلامي الصحيح مجتمع تشيع فيه المودة والمحبة والسلام والترابط وفيه يأمن الجميع على حرياتهم وكراماتهم وحرماتهم وأموالهم.

إن بين ضمير الإنسان وحقائق الكون ألفة ومواءمة فطرية، فإذا ما أقبل الإنسان ينظر فيها بعقله وحصل معانيها لنفسه فقد حقق المواءمة بينه وبين الكون، وهو التجانس الذي يكتب له به استقرار الضمير وبه يصحب الكون على بصيرة وعاطفة سليمة، وتلك حقيقة التوطن الكوني، وما نراه من بلبلة الفكر وقلق الضمير في بيئات الغرب سببه أن الصلة الفكرية بينه وبين الكون لا تحقق

المواءمة الصورية لاستقرار النفس [10]، يقول محمد أسد : (أن الإسلام لا ينظر - كالنصرانية - إلى العلم بمنظار أسود بل يعلمنا أن لا نسرف في تقدير الحياة الأرضية والا نغالي فيها ولا في قيمتها مغالاة الحضارة الغربية الحاضرة، الإسلام ينظر إلى الحياة بسكينة واحترام وهو يعد الحياة مرحلة يجتازها في طريقه إلى حياة عليا وليس للإنسان أن يحتقرها أو يقلل من قيمة الحياة الأرضية) .

وبعد : فقد حققت التربية الإسلامية أهدافها كاملة في جميع الأوقات التي ربي الناشئة عليها، فإذا ما أعدنا ذلك العهد وعدنا إلى المنهج الإلهي الذي يقيم علاقة الإنسان الطيبة بالفكر والكون فإننا سنعيش إن شاء الله تعالى آمنين مطمئنين سعداء في عزة وكرامة، بذلك يستوحي المسلم الفترة النفسية والفكرية والعملية .

إن الإسلام جاء ليقيم العلاقة بين الكون والإنسان على امتداد الزمان والمكان على أوثق الصلات وبذلك يعيش الإنسان في سلام مع نفسه ومع غيره ومع الحياة ومع الكون ومع خالق الحياة والكون، ويمكننا أن نؤدي وظيفتنا في هذه الحياة كما كان أسلافنا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله تعالى الخالق الرازق، ويتحقق فينا ما أراده رب العزة لنا من أن نكون الأمة الوسط التي تكون شهيدة على الناس ويكون الرسول عليها شهيدا.

نعم إننا في حاجة إلى إعادة التربية في بيوتنا وفي مدارسنا وفي مجتمعاتنا وفي جامعاتنا على أساس التربية الإسلامية حتى تتضح المفاهيم ويصح الاتجاه ويعيش المجتمع الإسلامي في أمنٍ وسلام .

وبذلك يستطيع المسلم إنقاذ الحضارة الغربية من اتجاهاتها الخاطئة التي تكاد تؤدي بها إلى موارد التهلكة، ولا بد وأن نجعل خطواتنا كلها متمشية مع الآية

---

(10) الإسلام على مفترق الطرق ، تأليف المستشرق محمد أسد ، دار العلم للملايين.

الكريمة : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢- ١٦٣] .

صياغة الأهداف صياغة سلوكية تعليمية إجرائية :

١- تربية الإنسان الصالح المؤمن بالله تعالى والمعتز بالإسلام والذي يسير على هديه والذي يعمل لدنياه وأخراه وذلك عن طريق المعلومات الإسلامية وتربية العاطفة الإسلامية وإكسابه المهارات الضرورية والعادات الصالحة وتنمية الاتجاهات والقيم المتصلة بالتراث الإسلامي .

٢- أن يزداد اعتزاز التلميذ بالإسلام عقيدة وشريعة وحضارة من خلال ازدياد معرفته بأركان ومبادئ وتاريخ الإسلام وحضارته وأن يمارس فرائضه وشعائره في حياته على أساس من الفهم الصحيح .

٣- أن يستخدم اللغة العربية قراءة وكتابة وتعبيرا وأن يزداد اعتزازه بها وذلك من خلال إكسابه مهاراتها الأساسية بما يزيد من قدرته على استخدامها وسيلة أساسية للاتصال بسهولة ويسر .

٤- أن يتعمق لدى التلميذ الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن يتمسك بالمبادئ والقيم التي دعا إليها الإسلام فيدرك العلاقات التي تربط الإنسان بخالقه والإنسان وأسرته ومجتمعه والمجتمعات الإنسانية كلها وأن يعمل على الوفاء بها .

٥- أن يعرف تكوين الأمة الإسلامية من حيث تراثها العظيم ومثلها العليا ونظم الحكم والمعاملات وأن يلم بوجهات النظر الإسلامية في النظم الاقتصادية والاجتماعية وأن يدرك العوامل التي أدت إلى ظهور الحضارة الإسلامية وأن يقتنع بأنه يمكن الاستفادة منها في التطور الحضاري في العصر الحاضر وأن يعمل على ذلك .

٦- أن يلتزم باحترام الأخوة الإسلامية وان يعمل على توثيق الروابط بينها وأن يؤمن بدور الإسلام في توثيق الروابط بين المسلمين وان يتفاءل بمستقبل مشرق للعالم الإسلامي إذا ما تمسك المسلمون بمبادئ الإسلام، وأن يدعوه هذا إلى التعاون مع من يحيطون به في البيئة، تمهيدا للعمل الجماعي في المحيط الإسلامي .

٧- أن يكون التلميذ مدركا لزيف التقاليد والعادات المخالفة للمبادئ الإسلامية وأن تنمو شخصيته وصحته النفسية نتيجة للرعاية التربوية السليمة فيقوم أعماله تقويما سليما ويعتمد على نفسه في حل المشكلات بعد أن يواجهها في شجاعة وأن يحترم أراء الآخرين عند الاشتراك في معالجة الأمور .

٨- أن يفهم حقوق المراة والرجل في الأسرة الإسلامية ودور كل منهما في المجتمع في ظل القيم الإسلامية .

٩- أن تصل التلميذة إلى مستوى يؤهلها للاشتراك في الأعمال والمسئوليات الأسرية بما يتلاءم مع طبيعة نموها الجسمي والعقلي والنفسي، فتكون التربية للأنوثة والتربية للأمومة وتجيد صناعة الملابس ورعاية الأطفال وأعمال البيت في كل اتجاهاتها وواجباتها الزوجية .

١٠- أن يكتسب التلميذ المعلومات والمهارات الرياضية الأساسية اللازم استخدامها في مناشط الحياة المختلفة .

١١- أن يتعمق انتماء التلميذ لمجتمعه ودينه وأمته وذلك من خلال :

أ- التعرف على واقع بيئته ومجتمعه وصور الحياة فيهما .

ب- التعرف على ما لأمته من أمجاد إسلامية وحضارة عريقة .

ج- أن يتعرف على ما عليه من واجبات ثم على ما له من حقوق.

١٢- أن يتعود التفكير السليم القائم على الربط بين الأشياء وإدراك العلاقات بينها وتفسير ما يحيط به من ظواهر على أساس من العلم وذلك من خلال :

أ- معرفة قدر من العلوم والمعارف التي تمكنه من العناية بصحته ورعاية

اسرته وفهم ما يتوافر في بيئته من ظواهر علمية طبيعية .

ب- اكتساب المهارات الصحية السليمة سواء أكانت شخصية أم بيئية .

١٣- أن يكتسب اتجاهات إيجابية نحو المهن والعمل الشريف وأن يدرك أهمية العمل وإتقانه والمحافظة عليه وفائدته لمجتمعه وأن يقدر أصحابه ويشاركهم فيه .

١٤- أن يعرف مقومات الأمة الإسلامية وقضاياها ومشاكلها، بما يزيد من إسهامه الإيجابي في تحقيق وحدة الأقطار الإسلامية وحل قضاياها ومشكلاتها.

١٥- أن يزداد اتصاله من خلال الوسائل المقروءة بالعالم وأن يتابع ما يجري فيه من مبتكرات ومنجزات وأن يتفاعل معها .

١٦- أن يتمكن من مواصلة تعليمه سواء أكان ذاتيا أم في برامج منظمة طوال حياته.

الفصل الثاني

مشكلات الشباب وحلولها

في ضوء الكتاب والسنة

تمهيد :

عنى الإسلام بتربية الشباب عناية واضحة ذلك لأن فترة الشباب هي فترة القوة والحيوية والنشاط وفترة امتصاص الأفكار واعتناق المبادئ والحماسة لها والدفاع عنها ومحاولة نشرها والبذل في سبيلها بكل شيء بالصحة والمال والوقت بل والنفس في كثير من الأحيان .

ومن هنا رأينا الصراعات المختلفة حول الشباب ومحاولة اجتذابهم حول الفكرة التي يعمل فيها كل منهم، وقد وجدنا عناية الإسلام بالشباب تلك العناية الرائعة التي جعلته يعطيه الإمكانيات التي تكفل انطلاقه وتسلحه بكافة الأسلحة التي تعينه على أداء رسالته في هذه الحياة .

عناية سابقة على وجوده :

عناية الإسلام بالشباب تبدأ من قبل أن يولد... تبدأ بتكوين الأسرة التي تحقق الاطمئنان والسكن والتربية الكاملة المتكاملة ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١]، ولذلك فقط طلب من الرجل ان يختار المراة الصالحة التي تحقق التربية المثالية وتعطي للطفل كل حاجاته، ويعبّر الرسول الكريم ﷺ عن ذلك بقوله : (فاظفر بذات الدين تربت يداك) [البخاري]، ومثل ذلك في اختيار الرجل (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) [ابن ماجه]، ولأن

صفات الوراثة تظهر في الأبناء فإن الإسلام يعطي لأبنائه مؤشرات تساعده في اختيار العناصر الصالحة في تكوين الأسرة فهو يقول : (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس) [البخاري]، ويقول : (إياكم وخضراء الدمن)، ويفسر الرسول الكريم ﷺ خضراء الدمن بأنها : (المراة الحسناء في المنبت السيئ) .

وبهذا التخطيط يضمن الأساس للبيئة المتكاملة التي ينشأ فيها الطفل المسلم ثم هو يحاول أن يضمن له الاستقرار الدائم في كنف الأسرة فيجعل الطلاق أبغض الحلال إلى الله كما يقول الرسول الكريم ﷺ ، ويجعل أساس البيوت الوفاء كما يقول عمر بن الخطاب، ثم يجعل الأسرة مسئولة مسئولية كاملة عن تربية الأبناء، يقول الرسول الكريم ﷺ : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) [البخاري] .

وظيفة الشباب في الإسلام:

ووظيفة الشباب في الإسلام هي وظيفة المسلم بعامة، ولكن الشباب أقدر من غيرهم على حملها بما لهم من حماسة وحيوية ونشاط واستعداد للتضحية فهو جزء من هذا الكون، والكون ساحة لنشاطه وميدان لحضارته يدين بالعبودية لله ويتحرر من عبادة ما سواه من استذلال النظم والقوانين والأشخاص والشهوات والشيطان، إنه سيد الكون وليس عبدا إلا لله الذي خلقه وخلق الكون، ثم إن الكون كله مصدر رائع للمعارف والعلوم ومنبع لسكينة الإنسان وهدوئه ومشاعره، وبذلك يرفع الإسلام من اهتمامات المسلمين بقدر ما يرفع تصورهم للوجود كله، وبقدر ما يكشف أيضا عن علة وجودهم وحقيقته ومصيره، والمسلم يحس بقيمته حين يعلم أن الله خلقه في أحسن تقويم وسواه ونفخ فيه من روحه وجعل الملائكة تسجد له وجعله خليفة له في الأرض .

والإسلام بهذا يرسي القواعد الأساسية التي لا تتغير ولا تؤثر فيها تطورات الحياة كما لا يؤثر فيها اختلاف النظم ولا تعدد المذاهب ولا تنوع البيئات فمن اداها كاملة فقد أدى وظيفته، ومن قصر فيها أو نكل فقد أصبح بلا وظيفة في

هذه الحياة، وأصبحت حياته خاوية من معناها الأصيل الذي تستمد منها قيمتها الأولى، ثم إذا به يسير إلى الضياع الذي يصيب كل من يتخلى عن وظيفته، والإسلام يوجه طاقة الشباب إلى العمل المنتج المفيد الذي هو ثمرة الإيمان بالله، والقرآن الكريم يؤكد تأكيدا شديداً على العمل الصالح في عشرات الآيات : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف : ١١٠] والعمل الصالح يشمل كل ما يقوم به المسلم نحو ربه ونحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه الإسلامي بل والمجتمع الإنساني كله .

والشباب المسلم يستطيع أن يقوم برسالته كاملة ما دام خاليا من المشكلات، ولكن إذا وجدت المشكلات في حياته فإن ذلك يعوقه عن أداء الرسالة، ولما كان الإسلام حريصا على الشباب وعلى أن يؤدي رسالته كاملة فإنه يعمل على إزالة العقبات من طريقه وعلى تقوية شخصيته بحيث يستطيع أن يقاوم هذه المشكلات فإذا ما جاءت المشكلات بعد ذلك حاول علاجها بالأسلوب الذي يفيد ويريح وينتج .

الإسلام يزيل العقبات أمام الشباب :

من طبيعة الشباب الحركة والحيوية والنشاط وقد يستتبع هذا الخطأ في جانب من الجوانب، والله سبحانه وتعالى يفتح بابه للتائبين دون وساطة ويقول : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣]،ويقول : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦]، وجعل من السبعة الذين يظلهم الله تعالى تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله في حديث رسول الله ﷺ : (شاب نشأ في عبادة الله) [البخاري]. ويبين للشباب أن الخطأ طبعي والمهم ان يتوب الشاب،والنبي الكريم ﷺ يقول :

(عجب ربك من شاب ليس له صبوة)، والمهم الا يتمادى الشاب في اخطائه ولا يجاهر بها، يقول الرسول ﷺ : (كل امتي معافى إلا المجاهرين وإن من المجانة ان يعمل الرجل عملاً بالليل فيصبح وقد ستره الله يكشف ستر الله عليه) [البخاري]، والإسلام يزيل العقبات الداخلية حين يربي المسلم على صفاء القلوب، يقول النبي ﷺ لأنس ﷺ : (يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك بغض لأحد فافعل، ثم قال : يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي فقد احبني ومن احبني دخل الجنة) [الترمذي]، وقال عليه الصلاة والسلام عن رجل من الأنصار : (أنه من اهل الجنة ... وحين لحظ عبد الله بن عمرو أن الرجل لا يمتاز بشيء غير عادي وصارح الرجل بذلك، فقال الرجل : لا اعلم شيا عندي إلا اني لا ابيت وفي نفسي حقد لإنسان).

وهو يبعد عن الشباب المسلم الحقد والحسد لأنه يقطع الروابط ويزيد المشكلات الاجتماعية، ويجعل الأوقات تضيع فيما يعود على الناس بالضرر، كما أنه يُعلم الشباب الصبر عند الغضب حين يطلب من الغاضب أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم فإذا بالغضب يذهب عنه، كما يطلب من الغاضب أن يغير من وضعه فيكسر هذا من حدة الغضب ويصبح الإنسان اكثر هدوءا، يقول رسول الله ﷺ : (إذا غضب احدكم وهو قائم فليقعد فإذا ذهب عنه وإلا فليضجع).

ثم هو من الناحية الإيجابية يبين للشباب قوة المجتمع المتكامل فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه،بل إن الرسول الكريم ﷺ يقول : (من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) [مسلم]، وبهذا يزيل الإسلام العقبات أمام الشباب .

الناحية الإنشائية في الإسلام:

الإسلام عني بالناحية الإنشائية للشباب حتى يخرج إلى الحياة سليم النفس قوي الجسم، فقد عمل على تهيئة الجو الملائم الذي يتربى فيه بحيث يخرج إلى الحياة مسلما قائماً بواجبه نحو ربه ونحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه، وقد حدد الإسلام واجبات الوالدين في معاملة الأبناء من ناحية الرضاعة والعناية بالنواحي الجسمية والنفسية والعقلية، فالبيت الأمثل صلة روحية ورحمة ومودة بين ساكنيه فيه تنبعث عواطف المحبة والتضحية والتعاون، وخير العواطف أمسها بحياة المجتمع وعواطف الصداقة والاحترام، احترام الطفل لأبويه الذي هو أساس احترامه لنفسه وكل سلطة زمنية أو روحية فيما بعد فيه يتعلم الطفل معنى الضبط وقيمته يتقبله طوعا من والديه فقد عرف أن فيه خيره وسعادته، في هذا البيت يخرج الطفل إلى الحياة مزودا بطائفة من العواطف الحميدة تكون في يده سلاحا للكفاح كما تكون أمانا من العلة النفسية في مستقبل حياته، والشاب الذي ينشأ في البيت المسلم ينشأ على صلة قوية بالله فيحس أنه مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها فيكون في مأمن من الأمراض النفسية لأن الإيمان بالله خالق الإنسان ومدبر الكون يجعل الإنسان يحس بأن له سنداً قوياً في هذه الحياة، والمؤمن متصل بالقرآن الذي أنزله الله ليكون شفاء ورحمة للمؤمنين ذلك لأن الإيمان نور يشرق في القلب فتشرق به النفس فيرى الإنسان الطريق أمامه واضحا فلا يصيبه اضطراب ولا قلق، وعقيدة الإسلام حين تتغلغل في النفس تدفعها إلى السلوك الإيجابي السليم الذي يجعل المؤمن مطمئناً ثابتا، يقول الله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

والإسلام يهيئ نفس المسلم لتحمل صعوبات الحياة قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم

بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٥]، وبمقدار صبر الإنسان على ما يلقى بمقدار ثواب الله له قال تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

وليس من المقبول مثلا أن يقول الإنسان إني مسلم ثم لا يتحمل شيئا في سبيل عقيدته، يقول الله تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢-٣] .

وفي المعارك الإسلامية التي تقوم لتحقيق العدالة في الأرض يطلب من المسلمين أن يصبروا وأن يصابروا وان يرابطوا في سبيل الله فإذا ما أصابهم ضر في المعركة فهذا أمر طبيعي والضرر متبادل، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٠٤].

وفي مسألة الموت والحياة يبين الله تعالى للمسلمين أن كل نفس ذائقة الموت وخاطب نبيه الكريم فقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠]، وعلى الإنسان أن يمتثل لأمر الله تعالى وان يصبر على ما أصابه وإذا خاف من ضيق الرزق فالله سبحانه وتعالى يطمننه : ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٢]، فالمسلم يتطلع إلى السماء وإلى الله الخالق، أما الأرض وما فيها من أسباب ظاهرية للرزق فلا يدعها تحول بينه وبين التطلع إلى المصدر الأول الذي أنشأ هذه الأسباب، وليس معنى هذا إهمال الأرض فالإنسان

مكلف بعمارتها ولكن المقصود الا يعلق نفسه بها والا يغفل عن الله في عمارتها فهو يعمر في الأرض اخذا بأسباب السماء متطلعا إليها وهو مستيقن بأن ما وعد الله تعالى لا بد وأن يكون، وبذلك يعيش قلبه موصولا بالسماء وقدماه ثابتتان في الأرض، والشباب إذا وصل إلى هذه الدرجة فهو في الحالة التي انشأه الله عليها قبل أن يتناولها الانحراف، قال الله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٣٠] .

وعلى الإنسان ألا يتطلع إلى ما في يد غيره أو إلى أن يكتسب أشياء فوق قدراته المادية والجسمية واستعداداته الفطرية وبخاصة وأن ما في يد غيره قد يكون مقصودا به الفتنة وقد عافاه الله منها : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه : ١٣١] .

والإنسان قد يخاف من المرض، والإنسان إذا أصابه المرض بعد أن اعتنى بنفسه وبعد أن اصبح جسمه قويا ونفسه قوية فعليه أن يلتمس العلاج من مظانه، ثم إن الإسلام يرشده إلى أن ما يصيب المسلم له ثواب عليه حتى الشوكة يشاكها، والمسلم بخير على كل حال إن أصابته ضراء فصبر كان خير له وإن أصابته سراء فشكر فكان خير له، وقد يخاف من ضغوط الحياة عليه لسبب من الأسباب، والشاب المؤمن موصول القلب بالله وهذا يجعله أكثر تحملا وإلا فعليه أن يعيد قوة صلته بالله ولا يهمه الناس لأن الناس لا يملكون له نفعا ولا ضرا وهم لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له ولو اجتمعوا على أن يضروه لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه .

والإسلام يربي ابناءه على الأمل والبعد عن اليأس ذلك لأن اليأس والإيمان لا يجتمعان في قلب مؤمن والقرآن الكريم يقول : ﴿ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ

﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف : ٨٧] ذلك لأن اليأس يؤدي إلى انقباض الكورتوزون في الدم والغضب يؤدي إلى ارتفاع الأدرينالين في الدم والتروكسين في الدم...وإذا استسلم الإنسان لدوافع الغضب واليأس أصبح فريسة سهلة لقرحة المعدة والسكر وتقلص القولون وأمراض الغدد الدرقية والذبحة وهي أمراض لا علاج لها إلا المحبة والتفاؤل والتسامح والصلة بالله تعالى لأنها في حقيقتها أمراض نفسية .

ومن هنا ندرك أهمية وصية النبي ﷺ للصحابي الذي جاء يطلب نصيحة (بقوله : أوصني يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام : لا تغضب، وكررها ثلاثا) البخاري، كما ندرك أهمية قوله ﷺ : (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) [متفق عليه] .

ومقاومة الأجسام للأمراض تكون على أعلى مستوى من الكفاءة إذا كان هناك انسجام بين كل الخلايا والغدد والأعصاب وهي حالة ترتد في النهاية إلى صورة من صور الائتلاف الكامل بين النفس والجسد، ولهذا يرى الأطباء أن الأنفلونزا تعود الإنسان بكثرة لأسباب نفسية حقيقية لأنه لا بد من وجود أسباب، ولكن لا بد من وجود عدوى أيضا والقابلية حالة نفسية كما أنها حالة جسمية .

وقد بدأ الأطباء يتجهون إلى أن مرض السل قد يكون سببه نفسيا، ومن الأشياء التي تلفت النظر أن بعض الأمراض كالأكزيما أمكن إحداثها بواسطة الإيحاء في أثناء التنويم المغناطيسي، كما أن الحالة النفسية قد تكون سببا في الحمى والصداع والضغط والسكر والروماتيزم والسرطان .

ومن هنا فإننا نجد أن المؤمنين الصادقين الذين سلمت نفوسهم وصفت قلوبهم بأخلص الإيمان لم يتعرضوا مطلقا للأمراض النفسية التي تجر وراءها الأمراض البدنية ذلك لأن هذه الأمراض بنوعيها لا تظهر إلا مع ضعف الإيمان أو مع فقدانه حين تتسرب الوساوس إلى النفس فتنشأ العقد وتكثر الحاجة إلى الأدوية المنشطة والمهدئة والمخدرة التي لا يعتدل بها ما اعوج من النفوس،

وسيظل الصراع قائما في زوايا النفس التي ضعف إيمانها .

مشكلات الشباب :

وللشباب مشكلات تعوقه عن أداء رسالته في هذه الحياة وتأخذ من وقته وجهده ما يصرفه عن الطريق السليم إن لم تحل على أساس سليم بل إنه قد يكون عبئا على المجتمع الذي يعيش فيه وأداة من أوات الهدم كما نرى في المجتمعات الغربية في عصرنا الحاضر .

وبعض هذه المشكلات متجدد أي أنه كان موجودا في الأزمان الماضية وهو موجود في الزمن الحاضر وبعض هذه المشكلات نشر في العصر الحديث بعد ظهور الآلات التي قلبت موازين الأفكار وبعد ظهور الفلسفات المختلفة التي غيرت من مفاهيم القيم والأفكار، وسنتناول أولا المشكلات الجديدة أي المتجددة ثم نتناول المشكلات الحديثة لنرى حلولها على ضوء الإسلام .

أولا : المشكلات المتجددة :

مشكلات الغريزة الجنسية :

الغريزة الجنسية من غرائز الإنسان الهامة التي أوجدها الله تعالى لحفظ النوع البشري، لكن فرويد اشتط في أهميتها حين فسر السلوك البشري كله على أساسها فنزل بالإنسان إلى مستوى الحيوان وجعل الدوافع كلها مصدرها الجنس حتى العبادة، وقد رتب على هذا دمار الإنسان إذا لم يشبع هذه الغريزة، مع أن سلوك الإنسان الجنسي يختلف عن سلوك الحيوان ذلك لأن الإنسان فيه عقل وروح ونفس، ثم هو يقوم بضروراته الجنسية على طريقة الإنسان لا على طريقة الحيوان، وفرويد كان يهوديا واقعا تحت تأثير البيئة التي كانت تسود فيها بعض المفاهيم الدينية المنحرفة التي كانت تعيشها أوربا والتي كانت تدعوا إلى كراهية العلاقة بين الرجل والمرأة وتحث على الرهبنة، ومع أن تلاميذه اثبتوا أن هذا الرأي غير صحيح وأثبتوا إلى أن عدم الإشباع لا يؤدي إلى الدمار، بل وليس هناك ضرر جسمي أو عقلي ينتج عن الامتناع عن الجنس، ومع أنهم بذلك

أعادوا الكرامة إلى الجنس البشري إلا أن آراء فرويد تلقفتها أيدي التجار وساعدهم على ذلك أجهزة الإعلام فعملوا على نشر آراء فرويد من الناحية النظرية وأوجدوا كل الأساليب لتطبيقها من الناحية العملية حتى شملت آثارها الكبير والصغير في المجتمعات الغربية وسار على نهجها إلى حد كبير أو صغير البلاد الإسلامية، واكتوى الجميع بنارها ولا يزالون يكتوون لأن آراء فرويد وإن ثبت فشلها من الناحية النظرية وخطرها من الناحية العملية إلا أن التجار وأجهزة الإعلام لا زالت تسير في الطريق الذي يثير الغرائز ويلهبها، وبذلك فإن المشكلة مستمرة وآثارها مدمرة وقد طغت هذه الناحية في العصر الحديث على الفكر المسيحي المعادي للزواج والذي يرى أن الغريزة الجنسية ينبغي أن تكبت فاتجه إلى الرهبانية يدعو لها ويشجع عليها ويفتح الأديرة ويضع لها أنظمتها، وعلى مدى التاريخ الطويل الذي انتشرت فيه الأديرة فشلت في أداء رسالتها لأنها معادية للطبيعة البشرية .

الغريزة الجنسية في الإسلام:

يقف الإسلام وسطا بين هذين المفكرين فهو يعترف بالغريزة الجنسية وأهميتها ولكنه يضعها في إطارها الصحيح فهو لا يرى رأي فرويد في سيطرتها التي لا تدفع ولا يرى رأي من يكبتها عن طريق الرهبنة لكنه ينظمها ويضبطها، ويرى أنها من مميزات الجنس البشري فهي سبب بقائه وسبب إنجاب الذرية التي تحقق رسالة الإنسان في هذه الحياة، وقد أزال بذلك الإسلام الفكر المعادي للزواج الذي ساد العالم المسيحي وحرم الرهبانية وقالها نبي الإسلام ﷺ صراحة : (النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني) [البخاري] .

ووصل المتعة بالدين بهدف بقاء الجنس البشري وأداء رسالته في هذه الحياة يجعل التناقض غير موجود في ضمير الشاب المؤمن بين قوانين الحياة التي يمارسها وبين تعاليم الدين التي يجب احترامها، والجنس طاقة بشرية طبيعة تحتاج إلى إشباع ولكن الاستغراق الذي يجاوز حدوده المعقول هو الأمر المستنكر

في الإسلام لأنه يضخم أحد جوانب الإنسان على بقية الجوانب الأخرى.

والأعضاء التناسلية ليست مقززة في التربية الإسلامية فالطفل يعود الطهارة من صغره لاتصاله بالصلاة، وفي كتب الفقه تفصيلات كثيرة يدرسها الأطفال والشباب ليتطهروا ويستعدوا للصلاة التي هي أهم ركن في الإسلام.

والإسلام لا يثير الغريزة بل يمنع الإثارة في اي صورة من الصور وذلك منذ الصغر فهو يوصي بألا تترك الفرصة للصغار للإطلاع على العورات، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ٥٨]، فهذا أدب يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخلقية ظانين أن الصغار لا تمتد أعينهم قبل البلوغ إلى هذه المناظر، بينما يقرر النفسيون أن هذه المشاهد التي تقع عليها أعين الأطفال هي التي تؤثر في حياتهم المقبلة، والله سبحانه وتعالى يؤدب المؤمنين بهذه الآداب وهو يريد أن يبني أمة سليمة الأعصاب طاهرة القلوب نظيفة التصورات.

ثم إن الإسلام - لذلك - لا يبيح الاختلاط المثير ولا يبيح الخلوة ولا يبيح الملابس المثيرة لما لها من خطورة فهو يمنع إبداء الزينة إلا للزوج والمحارم، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ

ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ...﴾ [النور : ٣١] وينهي المؤمنات عن الحركات التي تعلن الزينة المستترة وتهيج الشهوات الكامنة وتوقظ المشاعر الهادئة، قال تعالى : ﴿ ... وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] ومن ذلك الإثارة عن طريق أجهزة الإعلام والدعاية ومن واجب المسلمين أن يطلبوا منع هذا ومن واجب ولي الأمر ان يمنع فهو مسئول أمام الله وأمام الناس، والمسلم مطلوب أن يتعفف حتى عن النظر إلى المراة فليس له إلا النظرة الأولى العفوية أما الثانية فهي عليه .

والإسلام بذلك يريد حماية المسلم من الأخطار النفسية التي يتعرض لها نتيجة لما يحدث في المجتمعات التي تظهر زينة المراة فتثير الشهوات وتحدث الصراعات داخل النفس وتكون سببا من أسباب الكوارث عليها .

والضوابط التي وضعها الإسلام لضبط الغريزة هي :

١- الزواج : والزواج هو الطريق الطبيعي لاستجابة الغريزة وذلك يتم في ظل الرعاية الإلهية وقد جعله الله تعالى للبشرية ليكون سكينة وألفة ومودة، وبالزواج تتوحد القلوب تحت ظل العقيدة وهي أعمق ما يؤثر في النفوس، ومن هنا فقد حرم الإسلام الزواج بين المسلم والمشركة لأنهما لا يجتمعان على عقيدة واحدة، والله سبحانه وتعالى يريد ألا تكون هذه الصلة ميلا حيوانيا بل يرفعها حتى يصلها بالله تعالى ويربط بينها وبين مشيئته في نمو الحياة، ورضي بزواج المسلم من الكتابية لأنها تؤمن بأصل العقيدة وقد تهتدي إلى الدين الحق .

والزواج يعصم الإنسان إلى حد كبير لأنه أغض للبصر واحصن للفرج، بل إن في إشباع الغريزة عن طريق الزواج أجر كما قال رسول الله ﷺ : (وفي بضع أحدكم صدقة فقالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر فقال عليه

الصلاة والسلام أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر) [مسلم] .

والإسلام لا يعتبر الغريزة عارا لأنه يصلها بأهداف علوية وهو لذلك يتحدث عنها في القرآن مبيناً كثيرا من الجوانب التي يحتاج إليها الإنسان في بيان الأحكام فهو يتحدث عن حل المعاشرة الزوجية ليلة الصيام : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٧] وحرمتها لمن نوى الاعتكاف ولذلك فإنه يقول في نفس الآية : ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾، وحرم اتصال المسلم بزوجته في اثناء الحيض : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ ثم يقول : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ومعنى ذلك الإتيان في منبت الإخصاب دون سواه فليس الهدف هو حصول اللذة إنما هو امتداد الحياة ابتغاء رضوان الله ولذلك فإنه يقول في نهاية الآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] يتحدث عن ذلك أثناء الحديث عن أحكام الزواج والطلاق والعدة ويرفع هذه العلاقة عن أن تكون مجرد متعة جسد .

٢- الصيام : فإذا لم يستطع الشاب الزواج لسبب من الأسباب فعليه أن يلجأ إلى الصوم فإنه له وقاية والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يقول في ذلك : (من استطاع منكم الباءة -تكاليف الزواج- فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء - وقاء -) [البخاري] ، فالصيام وسيلة ضبط قوية فعالة ذلك لأن الإنسان يمتنع مختارا عن كثير من لذائذ الحياة المباحة ويحقق كيانه بذلك .

٣- ضبط الغريزة : والإسلام يضبط الغريزة ويوجهها، والضبط يأتي أولا من ربط القلب البشري بالله تعالى ومراقبته في كل عمل ومن ربط المسلم باليوم

الآخر، فالإنسان يتلهف على لذائذ الحياة حين يحس أن فرصته في الدنيا هي الفرصة الوحيدة فهو ينتهزها قبل أن تفوت، لكن المسلم يؤمن بأن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة خير لمن اتقى.

والإسلام يعرض إلى جانب اللذة الجنسية ألوانا من لذائذ الحس والنفس ينالها من يحاولون ضبط أنفسهم في هذه الحياة عن الاستغراق في لذائذها المحببة لتبقى لهم إنسانيتهم الرفيعة، ومن هنا فإن القرآن الكريم يجمع في آية واحدة أحب شهوات الأرض إلى الإنسان: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤] ثم يبين للناس ان هذا كله متاع الحياة الدنيا، ولكن هناك لذائذ أخرى وهي ما ذكرت في الآية الأخرى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥] كما أن لهفة الإنسان على المتعة الجنسية تضبط حين يعرف المرء في هذه المتعة وسائل لانتشار النوع ويربط بين نزوة الجسد العارضة وغايات الإنسانية الدائمة ورفرفة الوجدان الديني ويمزج بينها في لحظة واحدة وحركة واحدة واتجاه واحد، ذلك المزج القائم في كيان الإنسان وأنه خليفة الله في أرضه المستحق لهذه الخلافة بما ركب في طبيعته من قوى وبما أودع في كيانه من طاقات.

والإسلام مع هذا يستنفد طاقات الإنسان النفسية في اتجاهات عليا لا تلجأ إلى المتاع الحسي وحده، كما يستنفد هذه الطاقات في اتجاهات عليا بقصد تحويل الفائض منها عن أن يستغرق في متاع الحس فهو لذلك حث -عن طريق الإعلاء- على الفروسية لأنها رياضة ترفع النفس عن محيط الحس وتوجه الطاقة إلى

منصرف نبيل وهو يقيم نظام المجتمع كله بصورة لا تحصر الدوافع الفطرية ولكنها تمنع الإسراف في كل شيء والله لا يحب المسرفين .

ومن هنا فإن الشاب المسلم لا تظهر عنده العقد النفسية لأنه لا يوضع بين ضغطين متعارضين ضغط من ضميره الذي كونه من الدين والعرف لا يجوز وجودهما وإن وجدت أخمدت، وضغط غريزته عندئذ تتكون العقد النفسية، أما الإسلام فقد ضمن سلامة الإنسان من هذا الصراع بين شطري النفس البشرية من نوازع الشهوة واللذة وحب الارتفاع والتسامي ولكل نشاطه المستمر في حدود التوسط والاعتدال .

٤- الحب : ويأخذ الحب كثيرا من التفكير والوقت في العصر الحديث، وما أكثر مشكلاته وما أكثر الأمراض النفسية التي تنجم عنه، ولعل أغرب تجارة كسب منها التجار ألوف الملايين هي تجارة الحب وصناعة السينما ونحوها، ولقد ساعد ذلك على إفساد عواطف الشباب في هذا الجيل الذي ولد بعد الحرب وقالوا له إن الحب جميل وساحر، وأصبحت كلمة الحب صورة خيالية لا يستطيع الإنسان أن يصل إليها فيعجز الشاب عن ممارسة الحب وعن الرضا العاطفي، وبذلك يختلف الإنسان عن أفكاره لأن الواقع يصدمها، ولذلك فلا بد وأن يعرف المجتمع الإنساني صاحب الثقافة الغربية حقائق الحياة جيداً وأن يقنع الإنسان بأن يتعامل مع الحب كعاطفة إنسانية لا كشيء مدمر فتاك يطلب الولاء والتقديس، ولا بد من منع وسائل الدعاية من نشر المفاهيم الخطيرة حول هذا الموضوع حتى نحفظ الشباب من الدمار الذي ينتظره .

والإسلام يبدأ في علاج هذه المشكلة مع الشباب بإيجاد الصلة القوية بالله فهو نعم المعين لعبده في كل وقت فتح الباب أمام الجميع : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] وهو يناقش المشكلة مناقشة هادئة حتى يصل إلى

الإقناع إلى قلب الشاب فيساعده بذلك على التغلب على مشكلته، (جاء شاب إلى النبي ﷺ وطلب منه أن يصرح له بالزنا لأنه تمكن منه فلا يستطيع التخلي عنه، وبدأ النبي ﷺ يناقشه في هذه المسألة قائلا له : اترضاه لأمك؟ قال الشاب : لا ، قال النبي الكريم : وكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم، ثم قال له : هل ترضاه لأختك؟ قال الشاب : لا ، قال النبي الكريم : وكذلك الناس لا يرضونه لأخواتهم، ثم قال النبي الكريم : هل ترضاه لابنتك؟ قال الشاب : لا، قال النبي الكريم : وكذلك الناس لا يرضونه لبناتهم، فاقتنع الشاب بهذا المنطق وطلب من النبي الكريم أن يدعو له بعد أن عزم في نفسه على الإقلاع عنه،فدعا له النبي صلوات الله وسلامه عليه ومسح على قلبه وشفي الشاب من هذه المشكلة) [رواه احمد] .

وتذكر الإنسان لله تعالى في أشد الأوقات يحميه من الوقوع في الخطأ، وهذا ما حدث مع النبي يوسف عليه السلام فمع أنه كان غلاما في بيت وزير يعيش في مظاهر النعمة ومع أن الذي راودته عن نفسها هي سيدته إلا انه رفض الفاحشة في إصرار رائع قائلا : ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف : ٢٣] .

والتاريخ الإسلامي يحدثنا أن الشاب المسلم عبد الله الذي لقب بالقس لكثرة عبادته وورعه أحب سلامة المغنية حبا ملك عليه فؤاده وجعل الناس يطلقون عليها سلامة القس، وقد استعملت معه كل وسائل الإغراء فلم تفلح في جذبه إلى ما تريد، وأخيرا صرحت له بما تريد وقالت له : إني أحبك، فقال لها وأنا والله الذي لا إله إلا هو، فقالت : واشتهي أن اضع فمي على فمك، فقال : وانا والله الذي لا إله إلا هو، قالت : فما يمنعك فوالله إن المكان لخال، فقال يمنعني قوله تعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٦٧]واخشى ان تتحول مودتي لك إلى عداوة يوم القيامة ثم خرج ولم يعد إليها بعد ذلك ابدا .

ثانيا : مشكلات الشباب المعاصر :

وجاء العصر الحديث ليغرق الشباب بمشكلات متعددة، وكانت هذه المشكلات خطيرة ومتشابكة ذلك لأن الغرب قد تقدم صناعيا واستعمر البلاد الإسلامية كلها تقريبا وقام بنشر أفكاره بين الشباب وهو في مركز القوة والتوجيه، وربى مجموعات كبيرة من الشباب المسلم على مفاهيمه الجديدة وملكهم قيادة الحكم والتوجيه والتربية، ووجد الشباب نفسه في حيرة لا يدري كيف يخرج منها وأحس بالمشكلات تحيط به وتملك عليه نفسه .

حول الطبيعة البشرية :

وكان من أهم هذه المشكلات الحديث حول الطبيعة البشرية، هل الإنسان أصله حيوان سار في طريق التطور أم أنه مخلوق متميز؟... ولهذه النظرة إلى الإنسان آثارها العميقة في نفس كل شاب بل آثاره مدمرة حينما يحس بأن أصله كان حيوانا كبقية الحيوانات في هذه الدنيا .

وفي عام ١٩٧٨م أصدر البروفسور ادوارد نلسون أحد مؤسسي علم الأحياء الاجتماعي (وهو محاولة لدمج العلوم الاجتماعية بعلم الأحياء) والأستاذ بجامعة بيركلي ثم هارفارد كتابا بعنوان (حول الطبيعة البشرية) يقول فيه الكاتب عن علماء البيولوجيا : (إن علماء القرن الماضي كانوا يعتقدون بأن الإنسان لا يتميز عن بقية الثدييات بيولوجيا إلا ببعض الصفات الفسيولوجية التي اكتسبها من خلال تطوره وارتقائه كانتصاب القامة وتطور تركيب الأطراف الأمامية واتساع الجمجمة الذي بدأ يسمح بنمو ومقدرة المخ...الخ) وجاء علم القرن العشرين لكي يكتشف أن الإنسان نوع متميز منذ بدء الخليقة وأن امتيازه متطور في خلاياه التي تتضمن صفات خاصة به وحده ينقلها إلى أبنائه وأجياله وتتطور هذه الخلايا حاملة خصائصه الوراثية (الجينات) تطورا خاصا رغم تأثره بما يكتسبه الإنسان من معلومات وقدرات جديدة في صراعه ضد الطبيعة .

وقال الكاتب عن علماء الاجتماع الوضعيين والتاريخيين كالماركسيين : (انهم

كانوا يعتقدون بأن الإنسان توقف غالبا عن التطور البيولوجي والفسيولوجي وأن تطوره انتقل إلى مجال المخ والجهاز العصبي نتيجة دخوله في مرحلة تكوين المجتمعات أي أن تاريخ الإنسان أصبح تاريخا اجتماعيا فقط وليس تاريخا بيولوجيا، وأن مخ الإنسان وقدرته العصبية وحدها هي التي تتغير مع مكتسبات العلوم والتكنولوجيا وأدوات الإنتاج وأساليبها، ومع تسليمهم بأنه ليس للإنسان أي تميز بيولوجيا يفصله عن عالم الثدييات الحيواني إلا ببعض الصفات الفسيولوجية تتجسد في بعض المهارات التي تمارسها أعضاؤه والتناسق المتطور لجهازه العصبي ومركزه في المخ) وجاء العلم الحديث لكي يكتشف أن للإنسان صفات ثابتة لا يلحقها أي تغيير لأنها صفات تحمل صفاته الوراثية كأنها بصمات أصابع شخص واحد لا يتغير طوال عمره وأن المكتشفات الجديدة تضاف إلى الصفات الثابتة ولا تمحوها .

وقال الكاتب عن علماء الأنثروبولوجي : (إن أصحاب هذا العلم الجديد نسبيا كانوا يحاولون تفسير الوجود الاجتماعي والتاريخي للإنسان عن طريق تركيبة نظرية تجمع بين علماء الآثار وتاريخ التكنولوجيا وتاريخ العلم وتاريخ العقائد والفنون يربط بينهما تصور فسيولوجي اجتماعي وأنهم كانوا يفسرون التغيرات والاختلافات التي شاهدها تاريخ البشرية على أساس تبادل التأثير بين تطور استخدام الإنسان لأعضائه ومهاراته ومعارفه بين التحولات الاجتماعية المختلفة صغيرة أو كبيرة، فكانوا قادرين على الإحساس بالتمايزات بين الثقافات المختلفة، ولكنهم لم يضعوا في اعتبارهم الخصائص الواحدة التي تكررت في كل أنواع السلوك البشري واللغات والثقافات ولدى كل الأمم والحضارات والتي تكاد تكون من السمات التي يتميز بها النوع الإنساني ويظل يتميز بها أفرادا أو جماعات وأمما لكي تفصله بشكل عام عن عالم الحيوان وتنتج له الوضع المناسب للخروج من سجن الطبيعة وحدودها إلى رحاب الحرية التي انتزعها اعتمادا على هذه الصفات الخاصة به وحده والتي تشترك فيها كل فصائله وانواعه أي كل الأمم والحضارات والقوميات) .

ويقول ويلسون : (إن نظرية التطور الداروينية - نسبة إلى دارون- من أكثر علوم القرن الماضي تأثرا بالنظرية الجديدة، وإنها على ضوء هذه النظرية لم تعد قادرة على تفسير سلوك الأفراد رغم احتمال صلاحيتها لتفسير جانب من السلوك الخاص بالجنس البشري ككل، فالقول بأن صراع البقاء يؤدي إلى بقاء الأصلح قد ينطبق على الأجناس بوجه عام ولكنه على المستوى الفردي كان يقضي بأن تختفي القيم الأخلاقية تماما والتي يقوم عليها جزء من أسس اي مجتمع) .

وهذه النظرية الجديدة حول الطبيعة البشرية تؤيد نظرة الإسلام إلى الإنسان وفي الوقت نفسه تفيدنا في علاج هذه المشكلة لأنها تأتي من الغرب الذي أوجد هذه المشكلة.

الإنسان في نظر الإسلام :

الإنسان في نظر الإسلام مخلوق متميز خلقه الله تعالى من تراب ونفخ فيه من روحه وطلب من الملائكة أن يسجدوا له وعلمه الأسماء كلها ولم يعلمها الملائكة، ووكل إليه خلافته في الأرض يقوم بعمارتها ويحقق العدل فيها وجعله قريبا منه يجيبه إذا دعاه وينصره إذا استنصره، ويوضح الحديث القدسي الذي رواه البخاري مقدار اهتمام خالق الإنسان بالإنسان وذلك حين يقول : (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إليّ ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) هكذا يكون الإنسان قريبا من خالقه يعامله بلون من ألوان الرعاية والتدليل وذلك حين يتجه الإنسان إلى خالقه، وفي حديث أخر يخاطب رب العزة الإنسان فيبين له من هو ويوجهه التوجيهات التي تفيده في حياته وذلك حين يقوله : (ابن آدم خلقتك لنفسي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب، ابن آدم اطلبني تجدني فإن وجدتني وجدت كل شيء وإن فتني فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء) .

والموت في الإسلام ليس نهاية الإنسان بل إنه محطة انتقال إلى الأبد الذي

لا نهاية له إلى دار الخلود إلى حيث يقال للمؤمنين : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر : ٧٣] ويرون ما هم فيه من نعيم وتكريم فيقولون : ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [الزمر : ٧٤] فالإنسان في الإسلام مزدوج الطبيعة وهو لذلك متوازن لأن الإسلام يتعامل مع النفس البشرية بضعفها وقوتها فلا تطغى ناحية على أخرى، والوجود الذي يقوم نظام الحياة فيه يقوم على أساس الحياة الشامل لأنه من صانع الوجود والإنسان .

والمسلم متميز عن غيره من بني الإنسان بأنه غير متورط في عالم المادية بينما الإنسان في الغرب تورط في الماديات تورطا لا يسوغ له القيام بمهمة تخليص الإنسانية من ورطتها في المادية، والإسلام يرى أن المال وسيلة لا غاية، وصاحب المال له قيمة بمقدار ما ينفق في أوجه الخير لا بما يكنز أو يستغل أي نوع من أنواع الاستغلال، وهناك أمور أسمى من المال ولها أثرها في تحقيق السعادة للفرد والمجتمع والعقيدة والخلاق والعلم والشعور بالمسئولية وتحقيق إنسانية الإنسان .

ولا بد من الاهتمام بالفضائل والأخلاق والأعمال الصالحة بالنسبة للفرد مع ربه ومع نفسه ومع مجتمعه، وبالنسبة للمجتمع مع خالقه ومع أفراده ومع المجتمعات الأخرى، وما ذكر القرآن الإيمان إلا وذكر معه العمل الصالح، والعمل الصالح يشمل كل شيء في هذه الحياة يساعد المسلم على تحقيق رسالته سلبا أو إيجابا مع النفس أو مع الأفراد أو مع المجتمعات الأخرى، بل إن الإيمان يغيب عن المسلم حينما يرتكب رذيلة وفي الحديث الشريف : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر شاربها وهو مؤمن) [البخاري] .

وإلى جانب هذا كله فإن الإنسان المسلم في نظر الإسلام مخلوق متميز عن غيره من بني البشر لأنه يحمل رسالة سامية هي تحقيق خلافة الله في الأرض وهذا التميز يأخذ طابع الشكل كما يأخذ طابع المضمون .

التميز في الشكل :

يتميز الإنسان المسلم بالرجولة والخشونة ومن هنا فإن الإسلام يحرم كل ما يحد من هذه الرجولة أو يؤثر عليها، ومن ذلك انه حرم على الرجال الأشياء التي تتحلى بها النساء كالذهب والحرير ذلك لأن الإسلام دين الجهاد والقوة وهو لذلك يريد أن يصون رجولة الرجل من مظاهر الضعف والتكسر والانحلال، ولذلك فقد نهى رسول الله ﷺ عن لبس المعصفر، يروي مسلم عن علي رضي الله عنه قال : (نهاني رسول الله ﷺ عن التختم بالذهب وعن لبس القسي-نوع من الحرير- وعن لباس المعصفر) وعن ابن عمر قال : (رأى رسول الله ﷺ عليّ ثوبين معصفرين، فقال : إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها) [رواه مسلم]، وقد روى الشيخان عن عمر رضي الله عنه قال : (لا تلبسوا الحرير فإن من يلبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة)، (ورأى النبي صلوات الله عليه خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه وقال : يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيحملها في يده، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك فانتفع به، فقال : لا والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ) [البخاري]، ويروى ابن ماجه عن علي رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ أخذ حريرا فحمله في يمينه وأخذ ذهبا فحمله في شماله، ثم قال : إن هذين حرام على ذكور أمتي حل على إناثهم) وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي عثمان قال : (كتب إلينا عمر ونحن بأذربيجان : يا عتبة ابن فرقد إنه ليس من كدك ولا كد أبيك ولا كد أمك فاشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك وإياكم والتنعيم وزي أهل الشرك ولبوس الحرير) .

وكما يحافظ الإسلام على رجولة الرجل فإنه يحافظ على أنوثة الأنثى حتى يتفرغ كل منهما لرسالته وحتى يبقى لكل نوع منهما خصائصه التي يستطيع بها

ذلك، وهو يحرم على كل نوع منهما أن يتشبه بالآخر لأن في ذلك إفسادا للمجتمع الإسلامي، يقول رسول الله ﷺ : (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) [البخاري]، والتشبه يكون في الكلام وفي الحركة وفي المشي وفي الملبس، وقد روى الطبراني أن رسول الله ﷺ قال : (ممن لعنوا في الدنيا وأمنت الملائكة على لعنهم رجل جعله الله ذكرا فأنث نفسه وتشبه بالنساء، وامرأة جعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال) كما روى أبو داود عن أبي هريرة قال : (لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل) وروى البخاري عن ابن عباس قال : (لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء) .

وإلى جانب هذا فإن الإسلام يحارب الترف الذي يهدد الأمم بهلاكها، والترف مظهر للظلم الاجتماعي وفيه يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦] ولذلك فقد نهى رسول الله ﷺ عن استعمال آنية الذهب والفضة لأنهما من الرصيد العالمي للنقد فلا ينبغي استخدامها إلا في الحدود المرسومة لهما، قال عليه الصلاة والسلام : (إن الذي يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم) [مسلم] .

وفي تناول الطعام لا بد وأن يتميز المسلم فيأكل بيده اليمنى، ويروي مسلم أن رسول الله ﷺ قال : (لا تأكلوا بالشمال فإن الشيطان يأكل ويشرب بشماله) وجلوس المسلم لا بد وأن يكون مغايرا لجلوس غيره، يروي أبو داود عن شريك بن سويد مولى رسول الله ﷺ قال : (كنت جالسا هكذا وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري واتكأت على ألية يدي - اللحمة التي في أصل الإبهام- فقال رسول الله ﷺ : أتقعد قعدة المغضوب عليهم؟)، والرسول الكريم ﷺ يبعد المسلم أن يجلس جلسة الكفار الذين غضب الله عليهم .

واليهود والنصارى لا يصبغون شعورهم والتميز يقتضي أن يصبغوا، يروي البخاري أن رسول الله ﷺ قال : (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم)، والمشركون يحلقون لحاهم ويبقون شواربهم وقد طلب النبي الكريم ﷺ تميز المسلمين عن المشركين، في ذلك يروي البخاري أن رسول الله ﷺ قال : (خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب) [رواه مسلم] .

والإسلام يحب نظافة الجسم والثوب والشارع وكل شيء، ومن هنا كان الوضوء والاغتسال واخذ الزينة عند كل مسجد، ومع ذلك فهو ينفر المسلمين من أن يكونوا كاليهود في عدم الاعتناء بأفنيتهم، يروي الترمذي أن رسول الله ﷺ قال : (إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود) [الترمذي] .

وبيوت الكفار عادة يكون فيها الصور والتماثيل إعجابا أو تقديرا أو زينة، وقد ينقلب هذا في يوم من الأيام إلى عبادة أو ما يشبهها، ولذلك فإن النبي الكريم يقول: (إن الملائكة لا تدخل بيتا فيها تماثيل) [مسلم]، ثم يشدد على ذلك تشديدا واضحا حين يقول : (إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور) [متفق عليه] .

وقد درج غير المسلمين أن يقوموا تحية للقادم وتعظيما له فقال النبي ﷺ : (لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا) [رواه أبو داود]، كما تعودوا من الإكثار في الثناء عليه فنبههم النبي الكريم إلى أن المجتمع الإسلامي ينبغي أن يكون متميزا عن غيره من المجتمعات وأن يكون مقلدا لا مقلدا، يقول الرسول الكريم في الحديث الذي رواه البخاري : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله) .

وصام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه، فقال الصحابة : يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود لأنه اليوم الذي نجى الله تعالى فيه موسى، فقال عليه الصلاة والسلام : نحن أحق بموسى منهم فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا

اليوم التاسع، فلم يأتي العام المقبل حتى توفى رسول الله ﷺ) [الموطأ] .

وقد جعل الإسلام أعياد المسلمين مرتبطة بالشعائر الإسلامية، وحين قدم رسول الله ﷺ المدينة ووجد الأنصار يلعبون في يومين (قال : ما هذان اليومان، قالوا : يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال عليه الصلاة والسلام : قد أبدلكم الله خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر) [الترمذي].

وهكذا يحرص الإسلام على تميز المسلم في كل شيء فإن المشابه في الظاهر سبب للمشابهة في الأخلاق وقد تصل إلى المشابهة في المعتقدات .

التميز في المضمون :

والإنسان المسلم كما يتميز في الشكل فإنه يتميز في المضمون أيضا، فالمسلم يحس بكرامته على الله تعالى وبمكانته في الملأ الأعلى وبمركزه القيادي في هذا الكون، وهذا كله يجعله معتزا بذاته لأنه يشعر بانتسابه إلى الله تعالى وارتباطه بكل ما في الوجود، فالعقيدة الإسلامية تجعل المسلم إنسانا كاملا وتعطي للحياة معنى .

والإسلام وجه عناية بالغة إلى الجانب الإنساني في هذه الحياة ذلك لأن الشعائر - وهي الصلاة والزكاة والصيام والحج- لا تأخذ إلا جانبا قليلا من القرآن والسنة ومن كتب الفقه، وأطول آية في القرآن الكريم هي آية الدين في سورة البقرة، والتداين جانب هام من جوانب التعامل الإنساني، ومع ذلك فالشعائر فيها جوانب إنسانية فالصلاة تحقق المساواة بين الناس جميعا في وقوفهم صفوفا متراصة كما تمثل تعليم الطاعة للقائد في صلاة الجماعة وفي تنفيذ الديموقراطية حين يستفتح المأموم على الإمام عند الخطأ، ثم إن الصلاة عون للإنسان في هذه الحياة والقرآن الكريم يقول : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة : ١٥٣] والزكاة تؤخذ من الغني لترد على الفقير، وهي لنفس الغني تزكية وتطهير وللفقير اغناء وتحرير .

والصوم تربية لإرادة الإنسان على الصبر في مواجهة صعوبات الحياة وتربية لمشاعره على الإحساس بآلام غيره فيسعى إلى مواساته، والحج مؤتمر فيه منافع للناس من أوجه مختلفة ففيه تتحقق المساواة وفيه التجارة وفيه الانسلاخ من الدنيا والتقرب إلى الله تعالى.

وكل عمل يعمله الإنسان يبتغي فيه وجه الله تعالى فهو عبادة وبخاصة تلك التي تبني المجتمع، يقول الرسول الكريم ﷺ: (أحب العمال إلى الله سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا، ولأن تمشي مع اخ في حاجة أحب من ان تعتكف في هذا المسجد -مسجد المدينة- شهرا ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه امضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام) [البخاري]، فالمجتمع الإسلامي هو مجتمع الحب والتعاون والتآلف وهو بعيد عن الحقد والحسد سواء أكان ذلك بالنسبة للأفراد أم بالنسبة للجماعات.

والحب في المجتمع الإسلامي أساسي ولن يؤمن المسلم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكرهه لها، والمسلم يحس بأنه عضو هام في المجتمع وهو فيه راع ومسئول عن رعيته والمسئولية عامة لكل فرد من أفراد المجتمع، وشعور المسلم بهذه المسئولية يريحه ويجعله يحس بكيانه وبأهميته في مجتمعه.

والإسلام جعل للإنسانية مبادئ تسير عليها فالناس جميعا أخوة من أب واحد وأم واحدة قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [النساء: ١] والأخوة شاملة للبشرية جميعا، والمساواة بين الناس مبدأ إنساني إسلامي فلا تفرقة بين عنصر وعنصر او لون ولون او جنس وجنس: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]، فالقيمة الإنسانية للجميع

واحدة ولا فضل لواحد على اخر إلا بالتقوى، والنبي الكريم ﷺ يقولها واضحة : (يا فاطمة بنت محمد اعملي صالحا فإني لا اغني عنك من الله شيئا) [البخاري].

ومن أهم خصائص إنسانية الإسلام ان يعمر المسلم الأرض بالأسلوب الذي رسمه الله تعالى ونشر العدالة الكاملة فيها تحت اي ظرف من الظروف وفي اي مكان ومع جميع الناس بل حتى ومع النفس لأن الله تعالى سيحاسب على ذلك كله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء : ١٣٥] .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصائص الإنسان المسلم وقد اختار الله تعالى الأمة الإسلامية لتحقيق هذه الخصيصة وجعلها خير أمة اخرجت للناس يقول الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

ومن خصائص إنسانية الإنسان في الإسلام العلم ذلك لأن المعرفة سلاح وكلما أوغل الإنسان فيها اكتشف من أسرار الكون ما يزيده تعرفا على إنسانيته، والعلم للفرد والمجتمع إمكان على تحقيق الرسالة ولذلك فإن الله يرفع الذين امنوا والذين أوتوا العلم درجات.

وشخصية المسلم شخصية مستقلة لا تتأثر بالراي العام إذا كان مخطئا ذلك لأنها ترى بعين الله، وفي الحديث الشريف : (لا يكن احدكم إمعة يقول : انا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أساءت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم) ومن هنا كان أفضل الجهاد عند الله كلمة حق عند إمام جائر.

والمسلم في هذه الحياة يدافع عن الحق ويحمي أماكن العبادة كلها سواء أكانت إسلامية أم يهودية أم مسيحية، ويوضح ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠] ويلاحظ انه في هذه الآيات قدم الصلوات والبيع على المساجد ذلك لأن المسلم بطبيعة عقيدته سيدافع عن أماكن عبادته ولكنه قد لا يدافع عن بقية أماكن العبادة، ولذلك فإن الآية الكريمة قدمت الصوامع والبيع على المساجد حتى يحث المسلم بأن الدفاع عنها من تمام رسالته.

وإذا كان الإنسان في كل المجتمعات قديمها وحديثها يقاتل لتوسيع رقعة الأرض أو لإرضاء كبرياء مجتمعه أو لاستعباد الآخرين وقهرهم ونهب خيراتهم أو لتحقيق المصالح الخاصة والتكالب عل متاع الدنيا، ويستخدم الطاقات في خدمة الصراع الذي يحدث بين الأفراد والجماعات والدول والشعوب التي تتصارع على الأرض كلها ويسعى بعضها إلى سحق بعض وتكون القوى الإنسانية كلها في خدمة الشيطان، إذا كان الأمر كذلك فإن الإسلام شرع الجهاد ليحارب كل هذه الأشياء يقاتل الطغاة الذين يسخرون شعوبهم من أجل حريتها ويحرر تلك الشعوب من استعباد الطغاة لها، وذلك بدعوتهم إلى عبادة الله الواحد الأحد في جميع الاتجاهات كما يتحررون من القيم الزائفة ومن العبودية لغير الله، وهذا يحقق معنى الآية الكريمة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

كما أن مهمة المجتمع الإسلامي أن يقاتل ليحرر المستضعفين في هذه

الأرض، قال تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٧٥، ٧٦] وحتى في الهزيمة يتميز المسلمون عن اعدائهم فلا وهن ولا ضعف وهم الأعلون في مكان القيادة : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩، ١٤٠] .

ومعنى النجاح في الإسلام يتغير عن معناه عند سائر الأمم، فهو في الإسلام يكون بأداء الواجب على أكمل وجه وبالنية والله سبحانه وتعالى يجازي الإنسان على ذلك لا على النتائج، والمسلم الحقيقي هو النموذج الحي للأمن والاستقرار، الأمن من العوارض المادية والآفات والكوارث الواقعة بأن يأمن على نفسه وعلى عقيدته وعلى ماله وعلى عرضه وعلى حريته ثم الأمن في الآخرة من عذاب الله تعالى، والآية الكريمة الآتية توضح كيف يكون الإنسان المسلم مع إيمانه بالله وادائه لرسالته في أمن في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٠- ٣٢] .

والإسلام حريص على المسلم، وحريص على مواهبه واستعداداته واتجاهاته

يربيها وينميها وفي الوقت نفسه لا يكبتها ولا يتركها تتبد هنا وهناك من غير فائدة كما يحدث في المجتمعات المعاصرة، الإسلام لا يكبت الطاقات لأنها موهبة من الله تعالى خالق البشر وكل ما وهبه الله للإنسان هو خير ينبغي أن ينميه ويستغله في الخير ويشكر فضل الله تعالى عليه، والمسلم لا يبدد هذه الطاقات لأنها نعمة فهي تنفق في المصلحة الخاصة والعامة وفي تحقيق الرسالة، المسلم يوجه هذه الطاقات للخير وفي الخير للفرد والأمة وتكون الفائدة في الدنيا والآخرة.

والإنسان غير المسلم يحس بأنه يعيش في ضياع لا يعرف لماذا جاء ولا إلى أين ينتهي؟ وينشد قائلا:

جئت لا أعلم من اين ولكن أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت

وسأبقى حائرا إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت كيف أبصرت طريقي لست أدري؟

لكن الإنسان المسلم يعرف الإجابة عن كل هذه الأسئلة لأنه إنسان صاحب رسالة لنفسه ولدينه ولمجتمعه كما حدد الله سبحانه وتعالى وهذا عكس الفلسفات البشرية فهي تتأثر بقصور الإنسان وملابسات حياته فهي لذلك تقصر عن الإحاطة بجميع الاحتمالات في الوقت الواحد، وقد يعالج ظاهرة فريدة أو اجتماعية بدواء يؤدي بدوره إلى بروز ظاهرة أخرى تحتاج إلى علاج جديد لأن الفلسفات البشرية تقصر عن الإحاطة بالنفس البشرية وكل أطوارها وأحوالها.

وضع الدين في المجتمع الإسلامي:

ومن المشكلات التي يجدها الشاب في العصر الحديث في مجتمعاتنا الإسلامية وضع الدين وهل هو خاص بالمسجد أم أنه يتناول كل جوانب الحياة، بل أحيانا يجد في بعض الفلسفات الغربية من ينكر الدين تماما ويرى أنه من رواسب الماضي أو أنه مخدر للشعوب.

فقد غزت المدنية الغربية البلاد الإسلامية وجاءت معها أفكارها ووسائلها وقيمها وأخلاقياتها وأساليب تربيتها، وكان من أثر ذلك أن تغير الكثير من مظاهر حياتنا الخاصة والعامة، كما تغيرت نظم الحكم والإدارة والقانون وبالتالي تغير نظامنا التعليمي وحل محله تعليم جديد يهتم بالناحية المعرفية وحدها ولا يهتم بالروح ولا بالعواطف والسلوك والاتجاهات ولا بالقيم الدينية، وأفقدنا هذا القدرة على التحكم في حاضرنا لأنه نما في كثير من جوانبه في بيئة غير بيئتنا وأصبحنا تابعين لغيرنا في مجال الحياة الفكرية والاجتماعية وشلت إرادتنا وقلت مقاومتنا شيئا فشيئا حتى يمكن أن نقول أنها توقفت، وترتب على ذلك أننا اهتممنا بالقشور وتركنا اللباب واعتنينا بالمظاهر وتركنا الجوهر، وأصبنا لذلك بانفصام في شخصيتنا وأصبح هناك ازدواجية في المجتمع بين الضمير ومستوى الأداء بين القول والعمل وبين الإيمان والسلوك، بل وأصبح المسلمون يفهمون الإسلام كما يفهم المسيحيون المسيحية، فالإسلام خاص بالصلاة والصيام وبقية الشعائر أما القيم والأخلاق وما إلى ذلك فهي بعيدة عن إسلام المسلم، مع أن العبادة في الإسلام شاملة لكل شيء يفعله المسلم ما دام ذلك يهدف إلى تحقيق رسالته في هذه الحياة .

وينظر الشاب المسلم إلى المجتمعات حوله فيجدها قد تخلت عن الدين وعن قيمه ذلك لأن العداء بين المفكرين والكنيسة في العالم المسيحي قد أدى إلى بروز العديد من الفلسفات الوضعية التي تركت بصماتها بوضوح على الفكر وعلى التعليم، ولكن هذا لم يحدث بالنسبة للدين الإسلامي، ومع ذلك فإن الشاب المعاصر نظرا لأنه يرى الثقافة الغربية تنتشر هنا وهناك وتترك آثارها على كل ناحية فإنه يتأثر بها شعوريا ولا شعوريا، وهذا هو الذي يجعل بعض المفكرين يسأل : هل علاقة الإنسان بالحياة قد فهمت فهما واضحا؟، وفي الغرب يقولون فشل التعليم الديني في أداء رسالته وهم يقصدون التعليم الكنسي، ولكن الدين الإسلامي به شمول يعجز البشرية قاطبة عن الإحاطة به لأنه نظام شامل

للحياة كلها، ونحن نقصد بالتعليم الديني في الإسلام صياغة المعارف الإنسانية كلها من تصور إسلامي صحيح، وحبذا لو قلنا عنه التعليم الإسلامي ليظهر تفرده من أول لحظة .

وينظر الشاب المسلم المعاصر فيرى اهتمام الأفراد والجماعات قاصرا على النواحي المادية وحدها وبذلك أصبح الإنسان خطرا على نفسه باستخدام المهدئات والمخدرات وما يؤدي به إلى الأمراض النفسية والعقلية وخطرا على المجتمعات من حوله، ويكفي مخزون القنابل الذرية لدى الدول العظمى وما نراه من تلوث أخطار البيئة وانتشار الصواريخ عابرة القارات ثم عدم كفاية المواد الغذائية وذلك يهدد بانتشار المجاعات وفناء البشرية، وقد أصبحت السياسة مناورات لا أخلاقية ولم يعد النصر للحق وأصبح من المسلمات أن الغاية تبرر الوسيلة وبذلك أصبح الإنسان كطائر يطير بجناح واحد وفي هذا ما فيه من الأخطار التي تصيب الإنسان في الصميم .

وينظر الشاب المسلم المعاصر إلى مظاهر الحياة حوله فيجد أنها تسير بسرعة هائلة، وهكذا كل منتجات التقنية التي لا يكاد الإنسان يقدر على مسايرتها، ثم ينظر إلى تقنية التعليم فيجد أنها جد بطيئة، ولهذا يقول توماس كاريل في كتابه الإنسان ومشكلات الحضارة : (إن الحضارة آخذة في الانهيار لأن علوم الجماد قادتنا إلى أرض ليست لنا فتقبلنا هداياها بلا تبصر ولا تمييز، وأصبح الفرد ضعيفا متلصصا فاجرا غبيا غير قادر على التحكم في نفسه ومؤسساته) .

ومن مشكلات الشاب المسلم المعاصر أن يرى فساد القيم ينعكس على النظم التعليمية ذاتها فالرأسمالية والشيوعية خاليتان من القيم الدينية والأخلاقية ولذلك فقد انحطت أساليب الصراعات بينهما إلى أدنى المستويات وأصبح من سمات هذا العصر فقدان القدرة الحسنة التي لها آثارها الواضحة في كل ناحية من نواحي الحياة وأصبحنا نرى الاضطرابات والعنف والكبت والأمراض النفسية تعم كثيرا من الدول .

لقد تخلت المجتمعات المعاصرة عن الدين كأساس للأمة واصبح الخوف من الارتباط بأية قيمة اخلاقية أو دينية من سمات المعاهد التعليمية المعاصرة مع أن التعليم ينبغي أن يضيء حياة الإنسان بتعريفه بنفسه وبحقيقة وضعه في الكون والغاية من وجوده فيه وكيف يستطيع القيام برسالته، ولقد أصبحت نظم التعليم المعاصرة مقتصرة على نقل المعلومات وبذلك فقدت دورها التربوي في اكتساب المهارات والأخلاق والسلوك السليم، وفي تكوين الاتجاهات والعواطف وأصبح هدف الطلاب من تعليمهم في المدارس النجاح بأية وسيلة ليحصلوا على الشهادة وبالتالي ليحصلوا على الوظيفة المناسبة .

تربية الشاب المسلم المعاصر :

والإسلام يهدف إلى تربية الإنسان الصالح الذي يقوم برسالته على الوجه الأكمل وهذه التربية الكاملة المتكاملة تجعله قادرا على التحكم في نفسه وضبط تصرفاته والإيمان بالمثل العليا التي يحيا لها ويموت في سبيلها جاعلا شعاره قول الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام : ١٦٢] وهذه التربية تجعل لدى المسلم القدرة على الاستفادة من اقصى ما يصل إليه الإنسان من الاستفادة التي تمكنه من أداء رسالته والتي تجعله ينتج أفضل ما يصل إليه الإنسان من الاستفادة التي تمكنه من أن يفيد البشرية ويحقق هدف الإسلام السامي .

والشاب المسلم بذلك يستطيع أن يعيش حياته بقيمه وأخلاقه التي قررها الله له مع إسقاطه لكل القيم والأخلاق الواردة عن الغرب، ثم إنه يريد أن يتعرف على النواميس الكونية التي أودعها الله له هذا الكون المادي ليستخدمها في ترقية الحياة وحينئذ يحس أن عمله كله عبادة .

والتقدم الحضاري الإسلامي روح تكمن وراء الإنجاز المادي والفكري فإذا تطورت الروح تغير العالم من حولها، والآية الكريمة : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ

وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد : ١١] تبين ذلك، ونلاحظ تعبير "انفسهم" فهو الذي يحدث التقدم الحقيقي الذي يتكامل فيه الظاهر والباطن وغاية هذا التعبير ان يتطابق القول والعمل وأن يعيش الناس بالقيم الإسلامية .

والإسلام لا يرفض التقدم المادي ولا الاستمتاع به ما دام ذلك في الإطار الإسلامي، قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٢] بل يحث عليه ويطلب أن يشارك أبناؤه فيه أو أن يقوموا به ما دام ذلك يساعدهم على تحقيق رسالتهم .

وإذا كان الفكر الغربي المعاصر يفصل الدين عن العلم، وينكر بعض رجاله الدين ويعترف بعضهم به ولكنه يضعه في إطار محدد هو الكنيسة فإن الإسلام ليس فيه هذا الفصل، فالعلم من الدين وهو يسير في تحقيق أهداف الإسلام وهذا يمكنه من قيادة حركة الحياة بالنسبة للفرد المسلم وبالنسبة للمجتمع على السواء، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج : ٤١] والإسلام لا يقبل أن يستورد نظما غريبة عنه فتحدث آثارها السيئة في الأفراد وفي الجماعات على السواء، هو يقبل التقنية الحديثة ولكنه يرفض القيم المصاحبة لها لأن له قيمه الخاصة به وهي التي تكون شخصية المسلم التكوين الذي يمكنه من أداء رسالته .

والإسلام دين عالمي في نظرته للفرد والأمة وفي علاجه للمشكلات ولا يرضى بإقامة الحواجز التي نشأت في العصور المختلفة لأنه دين يهدف إلى جمع البشر

كافة تحت راية واحدة وهو بالنسبة لهذا العالم الذي مزقته الأحقاد والتنافس بين امممه المختلفة رسالة الحياة والأمل في مستقبل عظيم مزدهر .

الوطنية الغربية :

ومن مشكلات الشباب المسلم في العصر الحديث المفهوم السائد للوطنية الغربية في البلاد الإسلامية وقد أصبحنا نرددها ونجح الاستعمار في حملنا عليها، وأصبح هناك هوة بين بعض البلاد العربية والإسلامية وبعضها الآخر، كل دولة تعمل على مصلحتها في الإطار الضيق ولو تعارض مع مصالح غيرها .

ومن خصائص الوطنية الغربية الكراهية والخوف فالوطن لا يبقى إلا إذا كان للشعب ما يكرهه وما يخافه ولا يزال المسئولون هناك يثيرون الكامن من عواطف الخوف والكراهية .

ومن مظاهر الوطنية الغربية ما فعله الاستعمار في نشر الخمر والحشيش والأفيون والربا والقمار والفجور بالقوة تارة وتحت عناوين براقة أخرى كالمدنية والتقدمية والحضارة وأصبحت مخترعات المدنية تستخدم في التدمير والاعتداء ونشر الكراهية والحقد .

وقد قسمت الدول الإسلامية إلى دويلات تمشيا مع هذه النزعة مثل الشام التي قسمت إلى أربع دول، وأهم من ذلك الروح التي تسود تلك الدويلات وأصبح كل قطر إسلامي يتعامل مع غيره على أسس العداوة في أكثر الأحيان .

وتسير الجامعات في البلاد الإسلامية على تربية المواطن الصالح بالمفهوم الغربي ويصبح الشاب المسلم في حيرة بين مثل إسلامه وبين واقع حياته .

والإسلام يعني بتربية الإنسان الصالح وهو الذي ينظر نظرة عامة إلى المجتمع الإنساني يحاول أن يحقق فيه رسالته عن طريق عمارة الأرض ونشر الأمن والعدالة فيها، قال تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾ [العصر : ١- ٣] .

والإسلام لا يمنع الشباب المسلم أن يحب البيئة التي ولد فيها وتربى وعاش، فلها حقوق الأخوة والجيرة والأصدقاء، والزكاة ينفقها صاحبها على الفقراء من اهل بلده واقاربه، والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يقول عن مكة : (ووالله إنك احب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إليّ ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت)، ولكن الإسلام لا يرضى بالعصبية لأنه يرى أن الناس جميعا من أب واحد ومن أم واحدة وقد جعلهم الله شعوبا وقبائل ليتعارفوا لا ليستعبد بعضهم بعضا ولا ليطغى بعضهم على بعض، والرسول الكريم ﷺ يقول : (ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية) [أبو داود]، والقرآن الكريم يقولها صريحة مدوية : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة : ٢] .

مشكلة الحرية :

ومن مشكلات الشباب في عصرنا الحاضر مفهوم الحرية الذي جاء من الغرب واحتضنته فلسفات مختلفة وكلها تعني الانفلات من القيم والأخلاقيات بحيث يكون الإنسان حرا في كل ما يفعل وليس له ضابط خلقي أو إطار قيمي يفعل فيه، ومن ذلك :

١- الوجودية : وتلخيص هذه النظرية انت مطلق الحرية فاصنع ما تشاء فإن الحياة كلها سخط يورث القلق والضجر، يقول سارتر :(اليوم كغد والغد كبعد غد وانه لا طعم لشيء ولا لذة ولا أمل في شيء) "مجلة حضارة الإسلام، شعبان ١٣٩٨ هـ" .

فهي بذلك تريد جرف الإنسان إلى غابة الحرية المطلقة غير الملتزمة بأي إطار أخلاقي مثالي، غابة تسودها الفوضى وتظهر انعكاساتها السلبية على كيان الأسرة وعلى علاقات الناس بعضهم ببعض وعلى علاقات الناس بالدولة، ولقد

كان حصاد ذلك كله موجات الهيبز التي تسود أوربا في عصرنا الحاضر .

٢- البراجماتية : وهي فلسفة تؤله الفرد على حساب المجموع وتضع معايير للتقدم والنجاح ولا تلقى بالا لعذاب المجتمع في سبيل صعود الفرد حتى تصل بالنظام الاقتصادي إلى مرحلة الاحتكار والاستبداد والقهر المستتر تحت أردية الحرية، ومن نتائج هذا ما نشاهده من مظاهر التفسخ الاجتماعي التي تظهر دلائلها الآن في أمريكا وتدفع بالمئات إلى الانتحار الجماعي .

٣- فلسفة التربية الإسلامية : وهكذا نرى هذه الفلسفات التي تفسر الحرية بالانطلاق الكامل الذي يدمر الإنسان لأنها فلسفات بشرية تنظر للإنسان من زاوية واحدة وتنظر إليه نظرة خاصة في وقت خاص، ومن هنا كانت الخطورة لكن فلسفة الإسلام في التربية تجعل مفهوم الحرية بعيدا عن هذا كله لأنها تحده بقيود الأخلاق الإسلامية وترفع الإنسان إلى مرتبة عليا لأنه خليفة لله في هذه الأرض يقوم بعمارتها في حرية كاملة بالأسلوب الذي يراه لكن في إطار الإسلام ومع الالتزام بالقيم الإسلامية، وبذلك يصبح مفهوم الحرية هو مفهوم البناء بناء الفرد وبناء المجتمع وبناء الأمة وبناء الإنسانية كلها، وإذا كانت الفلسفات الوضعية قد فشلت في تحقيق سلام الإنسان مع نفسه رغم المؤتمرات العديدة التي تقوم بعقدها فإن الإسلام نجح في تحقيق سلام الإنسان مع الإنسان وفي تحقيق سلام الإنسان مع الحيوان وسلام الإنسان مع النبات وسلام الإنسان مع الجماد لأن كل هذه الأشياء مخلوقة لله تعالى، وإذا كانت الدول المتحضرة في العصر الحديث تحاول أن تثبت حقوق الإنسان فإن الإسلام قد فرغ من هذا كله منذ أربعة عشر قرنا وزاد عليه حقوق الكون كله على الإنسان من حيوان ونبات وجماد، الإسلام يبني والحضارات الحديثة تهدم وتلك هي الخلفية الثقافية لكل ما يقومون به في هذه الحياة .

إن الإسلام يحرم على المسلم أن يطأ بقدمه كسرة خبز أو ما يؤكل مما يفيد الإنسان أو غيره من مخلوقات الله تعالى لأن في ذلك امتهانا للقمة التي حماها الله

تعالى، فاحترام النعمة والمحافظة عليها سببه حاجة مخلوق من مخلوقات الله تعالى من ناحية وتقدير لجهد عامل من ناحية اخرى، وإلى جانب ذلك ففيه ابتعاد عن الإسراف ومنع للفساد، ولو قارنا هذا بما يحدث في أمريكا مثلا لوجدنا البون شاسعا، ومن ذلك أن ما يلقيه الشعب الأمريكي في القمامة في عام واحد يكفي العالم الثالث الجائع لمدة عام كامل.

٤- المساواة بين الرجل والمرأة: وما أكثر ما نادى المنادون في الغرب ثم في الشرق بالمساواة التامة بين الرجل والمرأة وما أكثر الخطوات التي اتخذوها في سبيل ذلك حيث فتحوا لها أبواب العمل في المجالات المختلفة التي تناسبها والتي لا تناسبها وجعلوا التعليم واحدا للفتى والفتاة وكأن ليس لكل واحد منهما وظيفته في هذه الحياة، وساعدت أجهزة الدعاية والإعلام والجمعيات النسائية في نشر هذه المفاهيم بين الناس وافتعلت المعارك بين الرجل والمرأة ففلان نصير للمرأة وفلان عدو لها، وتنشر الصحف دائما عن المكاسب التي حصلت عليها المرأة في دولة كذا ودولة كذا.

وسارت البلاد الإسلامية في هذا الاتجاه ذلك لأن العالم الإسلامي أصبح في موقف المستقبل لا المرسل والمتأثر لا المؤثر، فالغرب قد ربى أبناء الإسلام وغرس فيهم المفاهيم والقيم التي جعلتهم يسيرون في اتجاهه وهم يظنون أن هذه الأشياء هي علامات التقدم والحضارة والمدنية، وكانت نتيجة ذلك ما لاحظه المفكرون وعلماء النفس من ضياع أجيال وإصابتهم بمختلف الأمراض النفسية والعقلية لفقدانهم الرعاية والحنان والعطف والرعاية الطبيعية وتركهم في المحاضن أو مع العاملات في المنازل، كما كان نتيجة ذلك تخلخل داخل كل أسرة من الأسر لأن المرأة شغلتها وظيفتها عن رعاية أسرتها، وكان هذا فوق ما تحتمله المرأة بل وفوق ما تحتمله الجماعات الإنسانية.

وكانت هذه مشكلة حيرت الشباب المسلم من الجنسين الذي وقع في حيرة كبيرة من جراء هذه الأفكار التي تصب في أذنيه ليل نهار بينما يرى واقع

الحياة على غير ما يتوقع، وعلاج هذه المشكلة نشر الأفكار الإسلامية التي تنظم العلاقة بين الرجل والمرأة وتدعيمها بأحدث البحوث الغربية التي تناولت علاج هذه المشكلة والتي تبين أن المساواة بين الرجل والمرأة لا سند لها من علم أو فكر سليم في أي ناحية من النواحي وأن هناك فروقا بين الرجل والمرأة من الناحية البيولوجية ومن الناحية الفسيولوجية ومن الناحية السيكولوجية ومن الناحية العقلية وأن العالم إذا أراد أن يخفف من مشكلاته فلا بد وأن يعود بالمرأة إلى وظيفتها الأولى وهي تربية الأجيال .

- الفروق البيولوجية : الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل للعلم يبين الفرق بين الرجل والمرأة من الناحية البيولوجية في كتابه الإنسان ذلك المجهول : (أن الأمور التي تفرق بين الرجل والمرأة لا تتحدد في الأشكال الخاصة بأعضائها الجنسية والرحم والحمل، إن هذه الفوارق ذات طبيعة أساسية نابعة من اختلاف نوع الأنسجة في جسم كليهما، كما أن المرأة تختلف عن الرجل كليا في المادة الكيماوية التي تفرز من الرحم داخل جسمها، فكل خلية في جسمها تحمل طابعا أنثويا وهكذا تتكون أعضاؤه المختلفة، بل وأكثر من هذا فهذا هو حال جهازها العصبي، وتوجد فروق أيضا كثيرة بين الرجل والمرأة في الوزن وفي العظام وفي القوة البدنية وغير ذلك) .

- الفروق الفسيولوجية : ومن الناحية الوظيفية أو الفسيولوجية فإن أعضاء الجسم تتخذ شكلا يتناسب والاختلافات التشريحية، فهناك فروق في الكبد وفروق في الدم وما إلى ذلك... يقول فيروسيه في دائرة معارفه : (إنه نتيجة لضعف دم المرأة ونمو مجموعها العصبي فإننا نرى مزاجها العصبي أكثر تهيجا من مزاج الرجل فتركيبها أقل مقاومة لأن تأديتها لوظائف الحمل والأمومة والرضاعة تسبب لها أمراضا قليلة أو كثيرة الخطر) كما يقول الدكتور درفاريني في دائرة المعارف الكبيرة : (إن المجموع العضلي عند المرأة أقل منه كمالا عند الرجل وأضعف منه بمقدار الثلث، والقلب عند

المراة اصغر واخف منه بمقدار ٢٠جراما في المتوسط فالرجل اكثر ذكاء وإدراكا والمراة اكثر انفعالا وتهيجا) كما يقول نيكوليه دبلين في دائرة المعارف الكبيرة : (أن الحواس الخمس عند المراة اضعف منها عند الرجل) .

- الفروق السيكولوجية : وهناك فروق بين الرجل والمراة في العاطفة، والمرأة أكثر حساسية وتأثرا بالظواهر الطبيعية، والمراة لا تستطيع حفظ الأسرار، والمرأة يجذب انتباهها حادثة ما أكثر من فكرة، وانفعالات الرجال أعمق أثرا من انفعالات النساء ولكنها أقل بعكس النساء اللاتي تظهر عليهن الانفعالات الحادة الفجائية من غير كظم أو إخفاء، وقد لوحظ ان جرائم الشباب هي التشاجر والقسوة والتشرد أما البنات فإن جرائمهن هي الأمور الجنسية والكذب ومحاولة الانتحار .

- الفروق العقلية : تثبت الدراسات أن هناك فروقا في الناحية العقلية بين الرجل والمرأة، يقول الدكتور جابر عبد الحميد رئيس قسم علم النفس في جامعة قطر في كتابه الذكاء وقياسه : (لوحظ على الدوام أن الذكور يمتازون في نواحي القدرة الميكانيكية كذلك يتفوقون على الإناث في الاختبارات العددية التي تتطلب الاستدلال، وتتفوق البنات في اختبار الدقة وفي استخدام الأصابع مع الإدراك الكافي للتفاصيل) .

- فترات خاصة : وهناك فترات خاصة تمر بها المراة ولا يمر بها الرجل وتظهر فيها أمراض كثيرة تكون خلالها مضطربة قلقة لا تتمكن من أن تسير سيرا طبيعيا وهي حالات الدورة الشهرية والحمل والولادة والنفاس، يقول فان دي فلد في كتابه الزواج المثالي : (أما الأعراض البدنية السائدة في المرأة قبل الحيض وخلاله فهي الشعور بالتعب والضيق الغامض ويظهر الصداع غالبا فيمن اعتدن الصداع في هذه الفترات ويزداد تدفق اللعاب ويتمدد الكبد ويتضخم ويحدث مغص في الكيس الصفراوي ويضطرب الهضم كما تضطرب شهية الأكل ... إلى آخره) .

المرأة في الإسلام:

ولا بد وأن يعرف الشباب المسلم رأي الإسلام في المرأة والرجل بعد أن عرفوا رأي العلم الغربي الحديث، وأن يعرفوا الإجابة عن المساواة الكاملة في العمل وفي حق الطلاق والميراث وما إلى ذلك مما يثيرونه بين لحظة وأخرى حتى يكونوا على بينة من أمرهم ثم يقوموا بعد ذلك بتطبيق ذلك في المجتمع الإسلامي فلا يقعوا في المشكلات المختلفة التي وقع فيها المجتمع الغربي وأصبح يبحث عن طريق للخروج منها ولكن هيهات أن يصل إلى ذلك ما دام يعتمد على أراء بعض مفكريه مبتعدا عن هدي الله الذي خلق الرجل والمرأة وجعل لكل منهما وظيفته التي تناسب قدراته، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

خلق الله ادم ليكون خليفة له في الأرض ليقوم بعمارتها وإحقاق الحق في ربوعها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وخلق حواء من ادم لتكون عونا له في هذه الحياة يسكن إليها ويطمئن قلبه بها، فالمرأة لذلك جزء من الرجل تكمله ويكملها ولكن مهمة كل واحد منهما تختلف عن مهمة الآخر وإلا لما كان هناك ضرورة لخلق نوعين من جنس واحد، والعلاقة بين الرجل والمرأة تقوم على أساس عنصرين هامين في الحياة هما المودة والرحمة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، وهذان المعنيان تتعلق بهما جميع المعاني الأخرى من حب وانسجام، ونلاحظ أن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالمودة والرحمة وسمى نفسه الودود الرحيم، وحين تقوم العلاقة بين الرجل والمرأة على المودة والرحمة فإن ذلك يؤدي إلى الاستقرار الذي يؤدي إلى السعادة التي ترفرف على الرجل والمرأة

وعلى الأسرة كلها وبالتالي على المجتمع الإسلامي كله، وهذه العلاقة تقوم على العقل والعاطفة وامتزاج العقل بالعاطفة يضع الأمور في نصابها، وبذلك يمكن التغلب على كل اختلاف أو تنافر أو خصام قد يحصل بين الزوجين.

ولقد حذر الله تعالى آدم وحواء من إبليس بقوله : ﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه : ١١٧] وبهذه الآية حدد الله سبحانه وتعالى مهمة الشقاء والعمل والكد والكسب وجعلها للرجل وحده ولو أنه أراد الشقاء للمرأة أيضا لقال فتشقيا بدلا من فتشقى، كما بين الله سبحانه وتعالى اختلاف وظيفة المرأة عن وظيفة الرجل في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۞ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۞ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۞ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۞﴾ [الليل : ١- ٤] فسعي المرأة مختلف عن سعي الرجل، ومهمة المرأة أن يسكن إليها الرجل فتخفف من آلامه وتهون عليه من متاعبه بكل ما يلزمه من متطلبات الحياة ثم هي بعد ذلك مصدر المودة والرحمة التي يحتاج إليها الإنسان، فالراحة التي فقدها الرجل في الخارج وهو متحفظ في كل تصرفاته سيجد مكانها في بيته الراحة والسكن والاطمئنان .

ولقد كانت السيدة خديجة رضي الله عنها خير سند للرسول ﷺ منذ رسالته وحتى وفاتها، ومن هنا كان حزنه الشديد عليها طوال حياته حتى لقد غارت منها السيدة عائشة رضي الله عنها مع أنها كانت ميتة، ومن الأمثلة الرائعة التي يحدثنا عنها التاريخ موقف أم سلمة زوج النبي الكريم ﷺ وذلك حين اشتاق النبي وصحبه إلى مكة فلما ذهبوا ليعتمروا وكانوا على بعد عشرين كيلوا من مكة وقف الكفار ليصدوهم عن الذهاب إلى البيت وحدثت مفاوضات كانت من نتيجتها أن عقد النبي ﷺ معهم معاهدة تنص على أن يرجع هذه السنة دون دخول مكة حتى لا تقول قريش إن المسلمين دخلوا مكة عنوة وقهرا، فيكون على المسلمين العودة هذا العام على أن تسمح لهم قريش في العام المقبل بالدخول إلى بيتها بأمرها،

واقتنع الرسول الكريم ﷺ وكتب العهد ولكن المسلمين حزنوا وقالوا : يا رسول الله كيف نقبل الدنية على نفوسنا؟ لا بد وان ندخل، فكان يقول لهم : أنا رسول الله لن أخالف أمره ولن يضيعني، ولكن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا غاضبين وبخاصة وأن من بنود الاتفاق ان من أسلم من الكفار وذهب إلى محمد فعلى محمد أن يرجعه إلى الكفار ومن كفر من المسلمين فليس لهم ان يردوه.. فلما فرغ النبي ﷺ من قصة الكتاب قال لهم قوموا فانحروا ثم احلقوا- وذلك ليتحللوا من عمرتهم ويعودوا إلى المدينة- فلم يقم منهم رجل حتى قال ذلك ثلاثا فلما لم يقم أحد منهم دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من المسلمين فقالت أم سلمة : يا رسول الله إنهم جاءوا يريدون المسجد الحرام مقصرين ثم منعوا وهم على بعد قليل منه فهم مطرودون ولكن اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة ثم تنحر بدنك وتدعوا حالقك، فخرج فلم يكلم احدا حتى فعل ذلك فلما رأى المسلمون ما صنع النبي ﷺ زال عنهم الذهول واحسوا خطر المعصية لأمر النبي ﷺ فقاموا عجلين ينحرون هديهم ويحلقون بعضهم لبعض حتى كاد يقتل بعضهم بعضا من الغم .

ثم هناك مهمة أخرى للمرأة لها أهميتها في استمرار الجنس البشري وهي انجاب الأطفال وتربيتهم التربية الكاملة التي يحتاج إليها الطفل ذلك لأن المرأة تتميز بالأمومة ويتجلى ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٢].

مواطن الاشتراك :

ولما كان الرجل والمرأة من جنس واحد فإنهما يشتركان في أشياء هي التي يشترك فيها الجنس الواحد فهما يشتركان في طبيعة التكوين للرجل والمرأة قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا

وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] كما انهما يشتركان في الكرامة الإنسانية التي يقول الله تعالى فيها : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] وبذلك تدخل المراة والرجل على السواء، كما أنهما يشتركان في حرية الاعتقاد فكل من الرجل والمراة حر في أن يعتقد ما يريد وكل منهما محاسب على ما يعتقد وليس هناك قهر أو إجبار، والقرآن الكريم يحدثنا عن بعض أنبياء الله الذين كانت زوجاتهم كافرات بالله تعالى كنوح ولوط عليهما الصلاة والسلام يقول الله تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [التحريم : ١٠] وقد أباح الإسلام ان يتزوج المسلم من كتابية أو يهوديه أو مسيحية بدون أن يجبرها على دينه .

والرجل والمراة يشتركان في الثواب والعقاب وكل ما يترتب على الإيمان من عمل وقد افاضت الآية الكريمة في ذلك يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ والصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥]

وللمراة مثل ما للرجل من الحقوق المدنية كالبيع والشراء والهبة والإجارة ولها ان تتصرف في ملكها بأي تصرف وليس عليها وصي قبل الزاوج أو بعده،

وهذه الناحية لم تحصل بعض النساء في أرقى المجتمعات عليها حتى الآن، فهي قبل الزواج تحت وصاية الأب او الأخ وهي بعد الزواج تحت وصاية الزوج، والنظام المالي في فرنسا يجعل المرأة تابعة لزوجها .

فالزوج هو الذي يدير الأموال المشتركة، وله حق التصرف بالبيع أو الرهن أو غير ذلك دون إذن من الزوجة، والزوجة لا تملك ان تبرم امرا بشأن هذه الأموال دون إذن من الزوج، يقول جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب : (إن حقوق الزوجة المسلمة أفضل بكثير من حقوق الزوجة الأوربية، إن الزوجة المسلمة تتمتع بأموالها الخاصة فضلا عن مهرها وعن انه لا يطلب منها أن تشترك في الإنفاق على أمور المنزل، وهي إذا أصبحت طالقا اخذت النفقة وإذا تأيمت اخذت نفقة سنة ونالت حصة من تركة زوجها) .

وللمرأة في الإسلام حق التعلم وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ : (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) البخاري ، وقد طلب النساء من النبي صلوات الله عليه أن يجعل لهن يوما يعلمهن فيه ويعظهن فحدد لهن يوما .

وللمرأة الحرية الكاملة في اختيار الزوج فهي كالرجل يباح لها في اثناء الخطوبة أن تنظر إليه وتستمع لحديثه بمقدار ما يعطيها انطباعا بأنه مقبول لديها، وذلك في حدود ما شرع الله، وعند عقد الزواج يؤخذ رأيها، ورأيها ضروري لإتمام عقد الزواج وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ : (الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأمر- تستأذن - وإذنها سكوتها) [البخاري]، ولو أن اباها زوجها بدون علمها أو رغما عنها فلها الحق في أن تفسخ هذا العقد .

والإسلام كرم المرأة فجعل لها حق النفقة والسكنى والا تكلف بعمل خارج المنزل فإن حرفتها الأمومة وصناعة الإنسان وهي أشرف صناعة واهمها في هذه الحياة، يقول الشيخ الشعراوي في محاضرته التي ألقيت في الدوحة عام ١٣٩٦هـ : (والإسلام لا يمنع المرأة من العمل ولكنه يضعه في حدود الضرورة وقد بين القرآن الكريم ذلك في قصة ابنتي شعيب إذ أن اباهما كان شيخا لا يقوى على

السعي وليس لهما أخوة من الذكور ثم أنهما تلزمان حدودهما فلا تزاحمان بل ينتظران حتى يصدر الرعاء - وبذلك لا تنسى نوعها ولا تزاحم كما يزاحم الرجال، وبالتالي فقد ظهر في هذه القصة مهمة المجتمع بالنسبة للمراة في إعانة موسى عليه السلام لهما على السقي، ومن هنا يتضح لنا أن تنظيم الإسلام لأسرة قائم على الفطرة التي لا تتغير إلا بالانحراف وهو يجاري الفطرة في تخصص المرأة لوظيفتها، وحين يخص الإسلام المراة للأسرة فإنما يخصها لرعاية الإنتاج البشري وهو خير ما في الوجود، والمجتمع الإسلامي المحض الذي يتربى فيه الطفل ويتشرب أخلاق الإسلام وعقيدته وشريعته ويقوم بواجب خلافة الله في الأرض هو المجتمع الذي تقوم الزوجة فيه بدورها المرسوم لها في الإسلام ولذلك فلا ينبغي أن نشغل أعصابها بإعالة نفسها وهي تقوم بهذا العمل ولا نفسد أعصابها بالعمل الذي تشارك فيه الرجل، ومن هنا فإن الإسلام لم يكتب على المرأة الجهاد لأنها تلد الرجال الذين يحاربون، وهي في هذا الميدان أقدر وأنفع لأن كل خلية في جسمها معدة لهذا العمل، وأنفع بالنظر إلى مصلحة الأمة على المدى الطويل فالمعركة حين تحصد الرجال وتستبقي النساء تدع للأمة مراكز إنتاج الذرية فتعوض الفراغ، ورجل واحد في النظام الإسلامي يمكن أن يجعل أربع نساء ينتجن ويملأن الفراغ الذي تتركه الحروب بعد فترة من الأمان، فالمرأة هي المكان الطبيعي الذي يسكن إليه الرجل هي تكمله وهو يكملها، والتفوق الطبيعي في استعداد الرجل ونهوضه بأعباء المجتمع وتكاليف الحياة البيتية يمكنه من القوامة على المرأة[1] .

والإسلام حين منح المراة هذه الحقوق فقد منحها لها دون طلب ودون ثورة ودون جمعيات نسائية لأن الذي أعطى لها هذه الحقوق هو الذي خلقها وخلق الرجل وهو أدرى بإمكانيات كلٍ منهما، ومن هنا جعل الإسلام الرجل رجلا والمرأة مراة وأودع كلا منهما خصائصه المميزة له، وجعل لكل منهما وظائفه المحدودة وكل واحد منهما مكمل للآخر تحت ظل من المودة والرحمة، ومن

هنا فلا يوجد خصام ولا شقاق ولا معركة حادة بين الرجل والمراة ولا تحديات ولا يوجد رجل عدو للمراة ولا امراة عدوة للرجل .

وحين يرى الغرب ضرورة عمل المراة فإن هذا العمل لم يخفف من شقاء الرجل وازدادت هي شقاءً، والمراة في المجتمعات الغربية تعمل كالرجل وأجرها أقل وهذا العبء زيادة على الوضع الطبيعي للمراة من حمل وولادة ورضاعة وشئون منزل، وقد أثر هذا على الأبناء في تربيتهم وأن نسبة العاملات في مصر ٤٪ فقط ومع ذلك فقط ظهر مرض اسمه فقدان الحنان وأصبح له كرسي في جامعة الإسكندرية، فما الأمراض التي تحدث عندما تبلغ نسبة العاملات ٥٠٪ مثلا؟.

فالمنهج الإسلامي يتبع الفطرة في تقسيم الوظائف بين الرجال والنساء، والفطرة جعلت الرجل رجلا والمراة امراة وأودعت كلا منهما الخصائص المميزة له، وجعلت لكل منهما وظائف معينة لحساب الإنسانية، وتصوير الموقف كما لو كان معركة حادة بين الرجل والمراة فيه تجنٍ على الحقيقة وهو ضد مصلحة المجتمع الإسلامي بل والمجتمع الإنساني كله، فالمسألة هي توزيع اختصاصات وتنويع وتكامل وعدل بعد ذلك في المنهج الإسلامي لأن الذي شرعه هو خالق الذكر والأنثى وهو أدرى بكل منهما ما يصلحه وما يصلح له .

مواطن الاختلاف :

وتثار حول المراة المسلمة شبهات لمحاولة ابعادها عن الإسلام والسير بها في طريق الغرب رغم أن الغرب يلاقي أنواعا من المتاعب والمشكلات ومن ذلك قيادة البيت .

ومن وجهة نظر الإسلام فإن قيادة البيت والإنفاق على الأسرة عملية تنظيم ولا تسيء إلى إنسانية المراة أو تنقص من قدرها ولذلك فينبغي أن ينظر اليها في إطار الأسرة ككل وكوحدة اجتماعية، يقول الله تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء : ٣٤] .

وقيادة الرجل للأسرة قيادة رأي وتنفيذ لما تنتهي إليه الشورى في الأسرة وليست قيادة سيادة أو استبداد وإن كانت الأصوات العالية في الغرب وفي الشرق أحيانا تحاول أن تصور ذلك، والسبب أن عنصر المودة والحب بين الزوجين قائم في الأحوال السوية إلى درجة أن القرآن الكريم يصور هذه الصلة بقوله : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة : ١٨٧] والطبيعة قد أعدت المرأة لدورها كما أعدت الرجل لدوره، فالمرأة مزودة بالرقة والعطف وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة وهذه المطالب ليست سطحية بل غائرة في التكوين العضوي والعصبي والعقلي والنفسي للمرأة، ودور الرجل الخشونة والصلابة واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاستجابة وهو بطيء الانفعال وذلك لأن وظائفه كلها تحتاج إلى قدر من التروي وأعمال الفكر وهذه الخصائص تجعله أقدر على القوامة وافضل في محالها .

ومن الشبهات التي تثار حول المرأة في الإسلام قول النبي ﷺ عن النساء : (أنهن ناقصات عقل ودين) البخاري، ويجيب على هذا الشيخ شعراوي في محاضراته في الدوحة عام ١٣٩٦هـ : [العقل بمعنى الجهاز الذي يعقل وهو المخ بما فيه من مخيلات وحافظات وذاكرة موجودة عند الرجل والمرأة، والعقل أيضا حصيلة تجارب وثقافة وهو العقل المكتسب، والمرأة المسلمة مفروض عليها أن تعتزل المجتمع فخبرتها في هذه الناحية قليلة ولذلك كانت الآية الكريمة : ﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] فالضلالة هنا ضلالة اختصاص ولذلك فإن المرأة تقبل شهادتها في شئون النساء بدون شهادة الرجال كالرضاعة والولادة ولو اقتحم الرجال ميادين النساء فلن يعرفوا فيها كسن الأطفال، والمعاملات من ميادين الرجال فإذا اقتحمها النساء فهذا ضلالة، فالمرأة

حين ترى شيئا في الخارج فإنها لن تتغلغل في المسألة فقد يكون هناك شيء أو كلمة تخدش الحياء فتصرف نظرها عنه، أما الرجل فمفتور على الحياة وليس له هذا التحفظ فالشهادة من الأشياء التي تريد من الإنسان ان يلتقط كل ما يمت للشيء بصلة والمرأة نظرا لوضعها في أنوثتها ونفسها ومجتمعها قد لا تتابع الشيء وهذا ليس نقصا فيها بل كمال في جهتها ليعينها في مهمتها في الحياة) .

والمرأة تتعرض لمؤثرات ذاتية تستجيب لها على نحو معين من غير أن يكون لها إرادة في الاستجابة، والوظائف العامة أحوج ما تكون إلى استقرار القاضي وعدم تعرضه لمؤثرات خارجية أو ذاتية تخضعه حتما لأوضاع نفسية أو بدنية قد تكون متناقضة .

الميراث :

ومن الشبهات التي أثيرت حول المرأة في الإسلام أن الإسلام لم يساوها بالرجل في الميراث، لقد كانت المرأة في الجاهلية مجرد متاع يورث لا شأن لها ولا وزن ولا ترث كما يرث الرجل لأنها لا تشترك في الدفاع عن حمى القبيلة، وكثيرا ما كان العربي في الجاهلية يضيق بولادة الأنثى حتى ان بعضهم كان يسارع الى وأدها، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل : ٥٨، ٥٩] .

ولقد كانت المرأة في الجاهلية إذا تزوجت ثم مات عنها زوجها سارع أحد أبناء زوجها إلى الزواج بها إذا أعجبته أو يمنعها من الزواج حتى تفتدي نفسها بمبلغ من المال، وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ ﴾[النساء : ١٩] كما لا يسمح لها بالتصرف في مالها دون إذن

زوجها أو وليها .

ثم جاء الإسلام ورد إليها كرامتها فساواها بالإنسانية في الرجل وحرم واد البنات وفرض على أوليائهن تعليمهن وأوجب على الرجل الإنفاق على المراة ولو كان لها مال خاص، وكذلك الإنفاق على الأسرة، ولذلك فإنه لم يساوي بين الرجل والمرأة في الميراث لأن المراة ليست مكلفة بشيء بالنسبة للأسرة فهي الكاسبة على هذا الوضع وعدم التسوية بينهما يعتبر مؤشرا إلى طريق الاحتفاظ باعتبارها البشرية وبخصائصها في الأنوثة والزوجية والأمومة -أي بخصائصها كأنثى حتى لا تتحول إلى رجل أو شبه رجل- ومساواتها بالرجل اقتصاديا واستقلالها يعرضها لأزمات نفسية فهو يضعف إحساسها بالأنوثة كما يضعف إحساسها بالأمومة ويجعل هناك تراخيا في علاقات الزوجية .

الطلاق :

فمن الشبهات التي تثار حول الإسلام أنه أباح الطلاق فهو بذلك لا يحافظ على كيان الأسرة وأنه جعله في يد الرجل وفي هذا هضم لحقوق المراة لعدم مساواتها بالرجل .

والإسلام دين واقعي فهو أولا قد أبعد عن الأسرة شبح الطلاق لأن الأسرة قائمة على المودة والسكن والطلاق مدمر لكيان الأسرة ، وقد جعله الله سبحانه وتعالى أبغض الحلال إلى الله يقول الرسول الكريم : (أبغض الحلال إلى الله الطلاق)، وطلب من الرجل أن يصبر على زوجته حتى عند الكراهية، يقول الله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ١٩].

وحين تتأزم العلاقة بين الزوجين فإن الإسلام يطلب من الرجل سعة الصدر والتعقل ويلزمه باتباع أساليب من شأنها أن تعيد للأسرة استقرارها، فالزوج عليه أولا أن يعظ زوجته وينصحها، فإن لم يفد ذلك فيمكنه أن يهجرها في المضجع،

فإن لم يفد ذلك فيمكنه أن يضربها ضربا غير مبرح لكي تشعر المرأة التي تتصرف بعاطفتها مقدار ما يجره عليها تعنتها من ضرر على الأسرة، وحين لا يؤدي ذلك إلى نتيجة يقوم حكم من أهله وحكم من أهلها بدراسة المشكلة من جميع نواحيها، ولهما بعد ذلك أن يقررا دوام العشرة الزوجية أو استحالتها، يقول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [النساء : ٣٥].

وحتى الطلاق لم يجعله نهائيا من أول طلقة، واشترط ان يقع الطلاق في طهر وألا تخرج المرأة من بيت زوجها خلال العدة في الطلقتين الأولى والثانية فعسى أن تطمئن النفوس وتهدأ الأعصاب ويتذكر زوجها ما بينهما من رباط فتعود المياه إلى مجاريها كل هذا من أجل الوحدة الصغيرة للمجتمع، فإن لم يجد ذلك كله فالطلقة الثالثة التي تمثل نهاية المطاف يقول الله تعالى : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ﴾ [البقرة : ٢٢٩].

ومنع الطلاق نهائيا ناحية مثالية قد تصلح فكرا لكنها لا تصلح تطبيقا في المجتمعات البشرية التي نعيش فيها، ولقد مكث الناس في الغرب والشرق غير الإسلامي فترات طويلة ينفصلون فيه عن زوجاتهم بغير طلاق ويمارس كل منهما حريته الجنسية عن غير طريق الزواج، كما راح جماعات من الناس يثبتون الزنا على أنفسهم حين كان هذا هو الأسلوب الوحيد في بعض المذاهب المسيحية للحصول على الطلاق، كما راح جماعات من الناس يعتنقون الإسلام لتطليق زوجاتهم فإذا تم لهم ذلك عادوا إلى دينهم السابق، ولقد أصبح معروفا في المجتمعات البشرية أنه لا بد من إباحة الطلاق فأقرت المجتمعات الغربية الطلاق بل توسعت فيه إلى درجة هددت مجتمعاتها تهديدات مختلفة، ولقد نشرت جريدة التيكو نومست البريطانية في عددها الصادر في ١٩/٥/١٩٧٨م : (لقد انتهى رئيس قسم الأسرة بالمحكمة العليا من اقتراح قانون بسيط للطلاق مثل استراليا يسمح

بإنهاء أي زواج بعد أن يكونا الزوجان قد انفصلا لمدة عام، والجمعية القانونية ربما تصدر ندائها للإصلاح في الشهر القادم)، حل واحد أوصت به لجنة فنية عام ١٩٧٢م بالنسبة للأسر ذات أحد الوالدين هو تكوين محاكم قادرة على علاج المشاكل المعقدة الناتجة عن الطلاق مثل الوصية وكفالة الأبناء وتسمى محاكم الأسرة وتتكون من قضاة متخصصين في شئون الأسرة، ولكن السويد خطت خطوة أبعد من ذلك فقد نكرت الطلاق من القاضي إلى الزوجين معا فإذا ما اتفق الزوجان على الطلاق فإنه يتم بينهما دون حاجة إلى حكم القاضي ويكفي تسجيله في السجل المدني، وهم يعتبرون ذلك خطوة على طريق الحضارة في تحرير المرأة الأوربية لأنه يتجنب تعقيد الإجراءات القضائية من جهة كما يتجنب الكشف عن أسرار الزوجين من جهة أخرى.

ولقد كان الطلاق حق من حقوق الرجل لأن المرأة تحكمها العاطفة، وحين مكنت المرأة من حكم الطلاق في الغرب أصبح يحدث لأتفه الأسباب، وفي أمريكا تبلغ نسبة الطلاق ٤٨٪، وهناك أسباب عجيبة للطلاق مثل أن تطلب المرأة الطلاق لأن زوجها لم يحلق لحيته كل يوم أو لأنه لا يشركها في شئونه، ومع ذلك فلو اشترطت المرأة المسلمة أن تكون العصمة بيدها فإن ذلك من حقها، ثم إن لها الحق في أن تخلع نفسها لتخرج من العلاقة الزوجية، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقد فعلت امرأة ثابت بن قيس ذلك على عهد الرسول ﷺ.

لقد كرم الإسلام المرأة تكريما لا نظير له في فلسفة من الفلسفات أو مجتمع من المجتمعات، فالرسول الكريم ﷺ يقول: (ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم).

وقد كانت آخر كلمة قالها الرسول الكريم ﷺ وهو على فراش الموت:

(استوصوا بالنساء خيرا) ويقول : (أكرم المؤمنين إيمانا احسنهن خلقا وخياركم خياركم لنسائهم) ويقول : (استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع اعوج، وأن اعوج ما في الضلع أعلاه، فإن اردت ان تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل اعوج) [النسائي]، وهو بذلك يريد أن يتحمل الرجل تصرفات النساء، ولقد كان النبي ﷺ قدوة في ذلك .

ولذلك فإنه من الخطأ أن يراد للمراة ان تأخذ موقعا لم تهيأ له لأنهم أرادوا لها ان تتمرد على دينها في مجتمعها الإسلامي تحت شعارات الحرية والمدنية والحضارة وهي عبارات براقة تخفي ورائها ما تخفي من متاعب وتخلخل في المجتمع الإسلامي وسيؤدي ذلك إلى أنها ستخرج متبرجة فتلهب الغرائز وسيؤدي ذلك إلى انحراف المنحرفين وأنها ستشغل نفسها بالخارج وتترك أمر بيتها، وإذا خرجت المرأة إلى الشارع فإنها ستترك وظيفتها الأساسية التي خلقت لها وسيؤدي ذلك إلى انحراف المجتمع، وهذا ما يريد الغرب أن يصل إليه في المجتمع الإسلامي حتى يصل إلى ما يريد .

الإسلام يعتبر الشباب هم عدته التي ينشر بها رسالته ومن هنا فإنه يعمل على تربيته التربية الكاملة المتكاملة من كل الزوايا بل ويهيئ له البيئة الصالحة من قبل وجوده، ثم إنه يكون متكيفا في المجتمع الذي يعيش فيه ومع نفسه ومع قيمه وأفكاره قوي الشخصية يؤثر أكثر مما يتأثر، ولكي يكون الشاب المسلم متوافقا بينه وبين نفسه لا بد وأن يكون قادرا على يتعامل معها وأن يعرف كيف يسعد بها ويسيطر عليها، وفكرة المرء عن نفسه هي النواة الأساسية التي تقوم عليها شخصيته وهي العامل الأساسي في تكيفه الاجتماعي أيضا، والصورة الذهنية تؤثر بطريقة مباشرة على حياة الفرد وتحدد الأسلوب الذي يحقق له التكيف والمواءمة مع كل جانب من جوانب البيئة المادية والاجتماعية والنفسية بحيث يستطيع أن يؤدي رسالته التي خلق الله تعالى من أجلها .

ويقصد بالبيئة كل المؤثرات والإمكانيات والقوى المحيطة بالشاب التي يمكنها أن تؤثر على جهوده للحصول على الاستقرار النفسي والبدني في بيئته وهي تشمل البيئة الطبيعية كما تشمل البيئة الاجتماعية .

فالبيئة الطبيعية : تشمل كل ما يحيط بالفرد من مسكن أو ملبس أو طعام أو غير ذلك مما يحيط بالفرد من أشياء مادية وطبيعية وكل ما يلزمه ويحتاج إليه من موارد وأدوات تساعد على الحياة فهي تمثل جوانب هامة تؤثر على نمو الفرد وقدرته على التوافق ومقدار ما يبذله من جهد في سبيل أدائه لرسالته .

والبيئة الاجتماعية : تشمل المجتمع والعلاقة بين الأفراد بعضهم مع بعض، كما تشمل العادات والتقاليد والقوانين والنظم التي تنظم العلاقة بين الأفراد بعضهم مع بعض، فالإنسان يتفاعل مع المجتمع يأخذ منه ويعطيه، وقد أدت طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد إلى وجود نوع من الشعور الاجتماعي المشترك بين الأفراد يتحلى في تضامن أعضاء الجماعة اتجاه المهمات المشتركة والمسئوليات الإسلامية .

والتكييف يجب أن يكون عملية إيجابية مستمرة تواجه مطالب الحياة المستمرة لأن الحياة في تغير دائم وهي لذلك تتطلب من الفرد أن يكون مرنا وإلا انهار الإنسان من كل جوانبه وبالتالي انهار المجتمع الذي يمثله، وكل ذلك في إطار القيم الإسلامية .

والتكيف إما شخصي وإما اجتماعي فالتكيف الشخصي معناه أن يكون الشاب راضيا عن نفسه وأن تكون حياته خالية من التوترات والصراعات النفسية التي تقترن بمشاعر القلق والضيق والشعور بالذنب، ويساعد على ذلك أن يدرك الشاب ما زود به من إمكانيات بدون حط من قدرها أو زيادة فيها، وأن ينجح في تحقيق آماله طبقا لإمكانياته وأن يكون راضيا عن هذا النجاح.

والتكيف السليم لا يتحقق إلا إذا كانت حياة الشاب خالية من الاضطرابات النفسية وإلا إذا كان الفرد قادرا على مواجهة المشكلات بطريقة موضوعية ينعم

فيها بحياة مستقرة هادئة، وهذا من خصائص الشخص الناضج السوي، والشخص الناضج هو الذي تتوافر فيه صفات أهمها أن يحسن استخدام وقت فراغه وأن يروح عن نفسه في ظل القيم الإسلامية وأن يحس بالسعادة في كل عمل يقوم به نحو نفسه ونحو مجتمعه ونحو ربه ثم هو الذي ينظر إلى كل ما يحيط به نظرة موضوعية يخطط وينظم ويعمل فإذا وفق شكر الله تعالى وإذا لم يوفق حمد الله تعالى، وتمثل الآية الكريمة: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

والتكيف الاجتماعي هو قدرة الشاب على أن يعقد صلات اجتماعية راضية مرضية مع من يعاشرونه أو يعملون معه من الناس دون أن يشعر الفرد بحاجة ملحة إلى السيطرة أو العدوان على من يقترب منه أو برغبة ملحة في إطراءهم له أو في استدرار عطفهم عليه أو طلب المعونة منهم بحيث يستطيع أن يؤدي رسالته معهم بالأسلوب الإسلامي.

للتكيف السليم مظاهر يراها الناس ويحس بها صاحبها منها الراحة النفسية بمعنى أن الشاب يستطيع حل المشكلات بطريقة يرضاها لنفسه ويقرها الإسلام وبذلك لا يحس بالتعب النفسي أو القلق الزائد أو عدم إقبال على الحياة وهذا ما يجعله أقدر على الصمود حيال الأزمات والشدائد وضروب الإحباط المختلفة دون أن يختل ميزانه، ومنها الكفاية في العمل والإنتاج إذ أن العمل له صلة وثيقة بالأهداف التي تكمن وراء السلوك الإنساني، ويحرص الإسلام على أن يعيش كل فرد فيه سعيدا متكيفا مع نفسه ومع بيئته، والتعاليم الإسلامية تجنب الشاب الوقوع في الخطأ وبالتالي تخفف من حدة التوتر الذي يسببه له تصارع الدوافع والاتجاهات، والشاب المسلم الذي يتمسك بقيمه يتمسك في الوقت نفسه بإطار يحدد أساليب سلوكه ويجد الشاب سندا قويا يلجأ إليه إذا ضاقت به الأمور، وشعوره بهذا السند المتين يكون أمرا باعثا على الاطمئنان النفسي والله

تعالى يقول : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء : ٨٢] فالقرآن شفاء من القلق ومن الحيرة ومن الاضطراب ذلك لأن المسلم يحس بأن الله معه يرعاه فيحس بالراحة والاطمئنان والأمن ويبعد ذلك عنه اليأس والقنوط لأن اليأس والإيمان لا يجتمعان في قلب مؤمن كما يقول النبي ﷺ ، والمسلم إذا أراد شيئا في هذه الحياة فعليه أن يسأل الله من فضله قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء : ٣٢] والفرد بمجرد دخوله الإسلام عن اقتناع وفهم وتدبر فإنه يكون قوي التكيف سريع الاستجابة لكل المواقف التي تتمشى مع الإسلام وتعاليمه، ومن ذلك ما حدث للذين يشربون الخمر حين نزلت الآية الكريمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠، ٩١] فقالوا فور سماعهم لهذه الآيات الكريمة "انتهينا ربنا" وكسروا زقاق الخمر وأراقوا ما فيها على الأرض .

والإسلام يقوي التكيف لدى المسلمين بالاهتمام بالوسائل الدافعة المتمثلة في القدوة الحسنة والبيئة الصالحة والترغيب والملاينة، قال الله تعالى لنبيه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] وفي استخدام الوسائل المانعة كالتهديد أو العقاب عند الضرورة، وقد ترتب على التكيف الذي حدث في المجتمع الإسلامي الأول أن دخل الناس في دين الله أفواجا، وقد استطاعت التربية الإسلامية بالمنهج الرباني أن تحرر نفوس من

دخل الإسلام على الانقياد لهذه المشاعر القوية والانقياد لهذا السلوك وأن تزيح العقبات المختلفة التي تعوق تقدم الشباب أو تكيفه مع نفسه أو مع مجتمعه.

جاء الإسلام ليربط القلوب بالله تعالى وليقيم موازين القيم الأخلاقية بميزان الله وليخرج المسلمين إلى مجال الأخلاق والتعامل مع الأصدقاء ومع الأعداء على السواء ووصلت سعادة الأفراد والجماعات إلى درجه تهفو إليها نفوس الناس في عصرنا الحاضر في الشرق والغرب على السواء .

وهكذا : نرى أن العالم الإسلامي اليوم في حاجة إلى أن يكون مرجعه في معلوماته وفي تفكيره وفي أخلاقه وفي سلوكه كله إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وأن يكون قدوته رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع المجالات، وبذلك يثق المسلمون في انفسهم وفي خالقهم ويسيرون على منهج الإسلام ويمكنهم أن يحققوا وظيفتهم كاملة في هذه الحياة فينشرون العدل والمساواة والأمن والسعادة والاستقرار في العالم كله ويكونون خير أمة أخرجت للناس وتكون شهيدة على الناس جميعا ويكون الرسول شهيدا عليها ويرضى الله عنهم في الدنيا والآخرة إنه نعم المولى ونعم النصير .

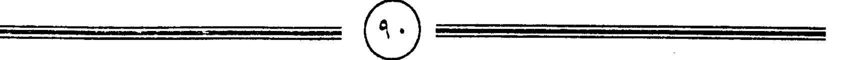
الخاتمة

فاني أرجو من الله سبحانه وتعالى ان يوفق المجتمعات الإسلامية إلى مقاومة الغزو الفكري الذي يحاول الغرب ان يفرضه علينا حتى يستطيع أن يسيطر علينا السيطرة الكاملة في الاقتصاد والسياسة والثقافة وغيرها، على الرغم من أنه يشعر بالقلق والحيرة وعدم الاستقرار ويحس انه في حاجة إلى تغيير كل مناهج حياته حتى ينقذ نفسه من السير إلى الهاوية .

ولكن الغرور الذي يسيطر عليه يجعله ينشر في العالم كله أنه على حق في كل شيء وأن العالم الإسلامي يخطئ حين يتمسك بالإسلام لأنه ربى الإرهاب على الرغم من أن الإرهابي يأتي من إسرائيل ومن أمريكا ومن غيرها من دول الغرب، والهدف السيطرة على كل مقدرات العالم الإسلامي .

ولذلك فإنهم يضغطون على حكام المسلمين بتغيير مناهج التربية وتقليص دور الدين وإبعاد التاريخ الإسلامي وإلا تعلم بالتاريخ الغربي والحضارة الغربية مع أنها تسير إلى الهاوية، وقد أنشأوا في العالم الإسلامي جمعيات ومدارس وجامعات تنشر ما يريدون من الأفكار ومن الأخلاق، ويساعدهم على ذلك بعض أبناء المسلمين الذين تربوا تربية غربية ولكنهم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

علي القاضي



الفهرس

كتب صدرت للمؤلف

١- أضواء على التربية في الإسلام .
٢- وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني .
٣- جامعات يوسف .
٤- الحدود في الإسلام هدية الله إلى البشرية .
٥- دور المرأة ومكانتها في الحضارات المختلفة .
٦- ماذا تعرف عن بديع الزمان النورسي .
٧- علم الإنسان في القرآن الكريم .
٨- الحضارة الغربية المترفة تسير إلى الهاوية .
٩- الإسلام يدلل المرأة .
١٠- معارك رمضانية فاصلة في تاريخ الإسلام .
١١- الفن بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى .
١٢- أضواء على الغزو الثقافي للمجتمعات الإسلامية .
١٣- مفاهيم إسلامية .
١٤- أوسمة إلهية لخير البرية .   ١٥- لماذا أسلمنا ؟ .
١٦- أضواء على شخصيات إسلامية متميزة .
١٧- أضواء على افتراءات أعداء الإسلام على التاريخ الإسلامي .
١٨- أضواء على الحضارة الإسلامية .
١٩- الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية شاملة .
٢٠- خمسة أسئلة عن الإسلام في العصر الحديث والإجابة عليها.
٢١- رجاء جارودي الفيلسوف الماركسي الذي أسلم .
٢٢- المنهاج الإسلامي لحل المشكلة التربوية في العالم الإسلامي .

كتب تحت الطبع

١- الحكمة في التشريعات الإسلامية .   ٢- أوسمة نبوية .
٣- أضواء على كتب إسلامية حديثة .   ٤- الإتكيت (فن الذوق) .
٥- المدينة المنورة عند الهجرة .   ٦- مكة المكرمة عند الهجرة .